الجمهورية الجزائرية الديقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

التنـاسـب فـي القـرآن الكـريـــم

- سورة الكهف أنموذجا -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في الآدب العربي : تخصص لسانيات عامة

إعداد الطالبات:

إشراق أحمادي

سارة خماس

هاجر مباركي

إشراف الأستاذ:

علي زيتونة مسعود

الموسم الجامعي : 2016/2015م- 1437/1436هـ

الجمهورية الجزائرية الديقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

التنـاسـب فـي القـرآن الكـريـــم

- سورة الكهف أنموذجا -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في الآدب العربي : تخصص لسانيات عامة

إعداد الطالبات:

إشراق أحمادي

سارة خماس

هاجر مباركي

إشراف الأستاذ:

علي زيتونة مسعود

الموسم الجامعي : 2016/2015م- 1437/1436هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

سورة البقرة الآية -285-

كلمة شكر

إذا كان الشكر قيدا للنعمة وسببا في زيادة الرحمة ,و دليلا على صفاء الجوهر؛فإنّنا نشكر الله عزّ و جل على ما أولانا من كرمه وفضله .

وإذا كان لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلاّ ذووه ؛فإنّنا نرفع خالص شكرنا وفائق تقديرنا إلى أستاذنا الفاضل "علي زيتونة مسعود "الذي سعدنا بإشرافه على هذا العمل وأفادنا من خُلُقه وعِلْمِه ودأبه ومثابرته بما لا ننساه له ما حيَيْنا فلقد كان طوال مدّة البحث يرشدنا إذا أخطأنا, ويشكرنا إذا أصبنا, و يُثبّت في أنفسنا الثقة والأمل, فجزاه الله عنّا خير الجزاء, وفسح له في أجله وزاده علمًا وتوفيقا.

كما نتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير إلى " الوالدين الكريمين" أطال الله في عمريهما وإلى " الإخوة والأخوات" حفظهم الله جميعاً على مد يد العون لنا.

ونخص بالشكر الجزيل إلى أستاذنا الفاضل" حاقة عبد الكريم" على الخدمات والمساعدة التي قدّمها لنا.

وإلى كلّ أساتذتنا بقسم اللغة العربية وآدابها.

وإلى كل من أسدى إلينا نصحًا أو نبّها إلى خطأ, أو أعاننا في شيء مما قلّ أو كثر...

المقدمة

الحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم، والحمد لله منزل الكتاب المعجز بنظم آياته،وتناسب سوره وفواصله، فهو معجزة الإسلام الخالد، وهو الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى، أفصح العرب لسانا، وأوضحهم بيانا، الذي أوتي جوامع الكلم أما بعد...

فقد أنزل الله كتابه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر بتلاوته ،وتدبره، لأنه احتوى على معان فريدة، ومواعظ عديدة، لا ينجلي فهمها إلا لقارئ متدبر.

فقد وقف بلغاء العرب وشعراؤهم عاجزين أمام فصاحة القرآن وبلاغته وعجزوا أن يأتوا بمثل سورة واحدة من سوره، وبذلك انتصر القرآن على أعدائه، وحسّاده فهو كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

إن السلف الصالح أولوا كتاب الله تعالى عناية خاصة، تمثلت في حفظه، وتفسيره، والعمل بتعاليمه، وعكفوا على دراسة ما جاء فيه من علوم ومعارف، واستنبطوا منه كمًا هائلا من العلوم القيمة، و من تلك العلوم "**علم المناسبات**"، فلاحظوا أن هناك تناسبا وترابطا وثيقا بين الآيات، وكأنها نظم من الدرر، يقوي بعضها بعضا، مشتركة في عقد واحد يزين المعاني القرآنية، ويجملها، فاعتنوا به أيمّا اعتناء، وضمنوه تفاسيرهم، بل كتبوا فيه كتبا مستقلة، وموضوع بحثنا هذا يدور حول إبراز جانب من جوانب التناسب، وهو التناسب في القرآن الكريم و بالتحديد في سورة الكهف ولذا جاءت هذه المذكرة بعنوان : "**التناسب في القرآن الكريم "سورة الكهف نموذجا** "، و سبب اختيارنا لهذا الموضوع جاء بعد أخذ ورد وتشاور بيننا وبين الأستاذ المشرف الذي أشار علينا بهذا الموضوع ورغبتنا أكثر هو محاولة الولوج إلى بعض أسرار التناسب في القرآن الكريم التي بهرت العلماء عبر العصور وبالذات رغبتنا الشديدة في معرفة إعجاز التناسب في القرآن الكريم ومن ثم توجيه الأنظار نحو سورة

الكهف وما يمكن أن تحمله من دلالات تساعد على فهم التناسب القرآني باعتبارها عناوين يمكن دراستها تحت إجراءات العنونة.

وهذا مما جعلنا نطرح العديد من الإشكاليات التي تحتاج منا إلى إجابة من خلال بحثنا للوصول إلى صلب الموضوع، ومن ذلك ما المقصود من التناسب ؟ وما أهميته ؟ وما موقف العلماء منه ؟ وكيف كانت نشأته ؟ وكيف تجلى في القرآن الكريم ؟ وهل يوجد تناسب في السورة القرآنية ؟و ماهي أبرز وجوه التناسب في سورة الكهف؟

و للإجابة عن هذه الإشكاليات قسمنا بحثنا إلى مقدمة وفصلين وخاتمة :

ففي الفصل الأول: تناولنا بالبحث النظري " **لمحة عامة عن التناسب في القرآن الكريم** " بعد التمهيد وقفنا على تعريف التناسب لغة واصطلاحا ونشأته، ثم موقف العلماء من التناسب القائلون و المعارضون عنه وأهميته وأخيرًا أنواعه من حيث التناسب في السورة الواحدة والتناسب بين السور.

أما في الفصل الثاني: فتناولنا بالبحث التطبيقي" **التناسب في سورة الكهف**"، وقد قسمناه إلى جزأين و كل جزء ينطوي تحته خمسة عناصر، وتطرقنا في الجزء الأول " بين يدي سورة الكهف " وتناولنا فيه التعريف بالسورة، سبب نزولها وتسميتها، موضوعاتها و أغراضها وفضلها.

وعن الجزء الثاني المتمثل في "**التناسب في سورة الكهف**" و تتضمن التناسب بين اسم السورة ومحتواها، و التناسب بين اسم السورة والحدث المذكور فيها و التناسب بين الافتتاحية و موضوعها وأيضا التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها، و أخيرا التناسب بين قصص السورة.

وفي الأخير أنهينا بحثنا بخاتمة لخصنا فيها أهم النتائج المستخلصة .

ولتسليط الضوء على هذا الموضوع سرنا وفق المنهجين الوصفي والتحليلي المناسبين في تتبع تفاصيله.

أما المصادر والمراجع التي كان لها القسط الوافر في بحثنا فكانت " البرهان في علوم القرآن الزركشي "و " الإتقان في علوم القرآن للسيوطي " و " علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق لصبحي إبراهيم الفقي " و " مباحث في التفسير الموضوعي لمصطفى مسلم " و " نظم الدرر في تناسب الآيات و السور للبقاعي ".

غير أن الدراسة عانت في بعض جوانبها قلة المراجع التي تخدمها بالرغم من حداثة الموضوع وعدم الغوص فيه والتوسع بين طياته فمعظم المراجع التي عدنا إليها كانت كتب تفسير وعلوم قرآن و هذا ليس بالأمر الهين علينا، فنحن أمام موضوع حساس خاص بالقرآن الكريم – فقد نخطئ و نصيب – إذ لا يمكننا تدوين أي معلومة إلا إذا كانت متناولة في الكتب.
وأخيرا لا يسعنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الفاضل **زيتونة مسعود علي** الذي ضحى بوقته الثمين لمساعدتنا، حيث كان له الفضل بعد الله عز وجل في إنجاز هذا البحث، و أيضا إلى كل من وقف بجانبنا لتجاوز هذه الصعوبات، نسأل الله تعالى أن يجعلها في ميزان حسناتهم.

تمهيد

أولا: تعريف التناسب.

ثانيا: نشأة التناسب.

ثالثا:موقف العلماء من التناسب.

رابعا: أهمية التناسب.

خامسا:أنواع التناسب.

الفصل الأول :لمحة عامة عن التناسب في القرآن الكريم

تمهيد:

اهتمت بعض المؤلفات اهتماما كبيراً بعلم التناسب على اعتبار أنه علم يتعلق بدقة النظم في الآيات, وترتيب السور والمناسبة بينهما ومن هذه المؤلفات:

وعليه إن مكانة هذا العلم وجلالة قدره وعظم شرفه, وكثرة فوائده وتعددها إلا أنه لم تظهر فيه مصنفات إلا في أواخر القرن الثامن الهجري, حسب ما هو موجود ومعروف إلى الآن ,حينما ألف " أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي"(ت :سنة 708هـ), مصنفه "البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن", وقد ذكره " الزركشي" في " البرهان" وكذا " السيوطي" في " الإتقان". حيث ذكر فيه مناسبة كل سورة لما قبلها حسب ترتيبها في المصحف, وقد رأى أنه لم يسبق إليه. وهنا يجب أن نشير إلى أنه لا ينكر أن هناك محاولات قبله في معرفة أسرار ترتيب الآيات ,لكن هو تكلم في ترتيب السور ,فيرى أنه لم يقرع أحد هذا الباب قبله.

وأيضا نشير إلى أن " أبا بكر بن العربي" أشار في كتابه " سراج المريدين" إلى أن أول من أفرد هذا العلم بالتأليف هو عالم واحد لم يذكر اسمه, ومازال هذا العالم مجهولا لدينا الذي ألف كتاباً عنوانه: " ترتيب آي القرآن".

وبعد ابن الزبير جاء الإمام " برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي" (ت: سنة 885هـ), فألف كتابه: " نظم الدرر في تناسب الآيات والسور", ولم يسبقه إليه أحد, وهو مشهور في هذا الفن, اعتنى فيه بأوجه المناسبات وأسرار القرآن الكريم ما تتحير منه العقول. وعمدة " البقاعي" في " نظم الدرر" هو كتاب "مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن المنزل" للإمام " أبي الحسن علي بن أحمد بن الحسن اليمني الحرالّي" (ت: سنة 637هـ), الذي أعجب به ونقل منه وعزاه له.

وقد نحا " البقاعي" في " نظم الدرر" طريقة مبتكرة, بناها على اعتبار المناسبة بين الآيات والسّور, فأوقف على أسرار كثيرة, ومعان جليلة, استفادتها بالتّدبّر, تجري على مقتضى اللّغة وإفادة السّياق, مع مراعاة النّقل والحديث في المواضع المختلفة.

وقد كان من أوائل الكتب التي استوعبت آيات القرآن الكريم وسوره, ببيان وتطبيق المناسبة عليها, بل إنه كان نقطة التحول التي لفتت الانتباه إلى وحدة السورة القرآنية, بعد أن كان الحديث عن المناسبات مجرد إشارات لبعض المفسرين, فكان مرجعا ضخما, عول عليه كل من جاء بعده. وذكر في آخره: أنه فرغ منه في: سابع شعبان سنة: 875هـ, وكان ابتداؤه: في شعبان سنة 861هـ, فتلك: أربع عشرة سنة. وله أيضا: " دلالة البرهان القويم على تناسب آيات القرآن العظيم" هو مختصر لنظم الدرر, وأيضا له: " مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور".

وصنف بعد ذلك في هذا الفن " جلال الدين السيوطي" (ت:911هـ), ثلاثة كتب:

الأول:" أسرار التنزيل", والمسمى " قطف الأزهار في كشف الأسرار", ذكره: في النوع: الثاني والستين من : " إتقانه". وقال: (صنعته في أسرار التنزيل كافل بذلك جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنه من بيان وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته " تناسق الدرر في تناسب السور").

الثاني: " تناسق الدرر في تناسب السور", لخصه من كتابه " أسرار التنزيل".

الثالث: " مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع". وهو يتناول التناسب بين فواتح السور القرآنية وخواتمها, قال عنه: (وقد أردت بيان ذلك على ترتيب السور في هذه الكراسة مستخرجا له بفكر, إما ما صرّحت بنقله عن غيري, وسمّيتها: مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع).

وعليه فهؤلاء الذين ذكرناهم هم أشهر من كتب في هذا الفن قديما, مع أن هناك مصنفات أخرى نشير إليها باختصار ومنها:

كتاب: " حور العين في ربط السور والآيات القرآنية", لمحمد بن مبارك شاه بن محمد الهروي ثم " الرومي الحنفي الشهير بحكيم شاه القز ويني" (ت:928هـ).

وكتاب: " النجاة في بيان مناسبات أم الكتاب", لمحمد سجاقلي وهو محمد بن أبي بكر المر عشي , الحنفي المعروف بسجاقلي زاده, (ت:1145هـ).

وكتاب:" العرفان والفضل المحض في ربط بعض الآيات ببعض" لمحمود شكري الألوسي 1342هـ, وهو حفيد الألوسي المفسر المشهور.

وممن أفرد هذا العلم بالتصنيف من المحدثين الشيخ عبد الله الصديق الغماري المتوفي سنة 1380هـ, فوضع كتابه المسمى: " جواهر البيان في تناسب سور القرآن" , يبين فيه المصنف مناسبات سور القرآن الكريم بعضها لبعض, حسب ترتيبها في المصحف الشريف.

وكتب الدكتور محمد أحمد يوسف القاسم رسالته العالمية " الدكتوراه" في " المناسبات في ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره" ونوقشت في كلية أصول الدين بالأزهر الشريف.

وكذلك قد نوقشت رسالته ماجستير في جامعة أم القرى بمكة المكرمة, للباحث : محمد مصطفى أيدين, تحت عنوان: " المناسبات بين الأسماء الحسنى والآيات التي ختمت بها" , وقد أشرف عليها الدكتور سمير عبد العزيز شيلوة.

أولا : تعريف التناسب:

أ_ لغة:

النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب سُمّي لاتصاله وللاتصال به[1].

والنسب والنسبة: اشتراك من جهة أحد الأبوين، وذلك ضربان: نسب بالطول؛ كالاشتراك بين الآباء والأبناء، ونسب بالعرض؛ كالنسبة بين بني الإخوة وبني الأعمام، قال تعالى :

﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ الفرقان:54 [2].

والنسب: القرابة، وقيل: هو في الآباء خاصة، وناسبه: أي شركه في نسبه[3].

ومن المجاز: المناسبة المشاكلة, أي المماثلة والمشابهة والموافقة, تقول :هذا شكل هذا أي مثله[4]

1- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، ط1، دار الفكر، بيروت، 1415هـ - 1994م,ص1025.

2- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ - 1997م.ص545.

3- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين بن محمد, لسان العرب مادة (ن س ب),جزء01,بيروت,ط3, 1986م,ص ص755_756

4- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، د. ط، ج2, 1414هـ - 1994م, ص430.

ومن أشبه أباه فما ظلم[1].

وكذلك المناسبة في فواتح الآيات وخواتمها أي هناك رابط بينهما, عام أو خاص, عقلي أو خيالي, غير ذلك من العلاقات كالسبب والمسبب, التلازم والتضاد...الخ [2].

و يُستخلص مما سبق الآتي:

- أن النسب هو العلاقة التي تربط الفرع بأصله، أي الأبناء بآبائهم وأمهاتهم، لكنه غلب في ذكر انتماء الولد لأبيه ثم قبيلته للفخر، ولكون الأبوة أهم لأنها قد تكون موضع شك فتحتاج إلى إثبات، بعكس الأمومة.
- والفروع المنبثقة عن أصل واحد بينها مناسبة، أي شراكة في النسب، وذلك مدعاة للتماثل والتشابه، ولذلك جاء المعنى المجازي للمناسبة بأنه المشاكلة بمعنى المشابهة، وإن كانت المناسبة لا تقتضي بالضرورة المشابهة، حيث الأهم فيها هو وجود الرابطة والصلة.

ب_ اصطلاحا:

عرف البقاعي علم المناسبات القرآني بأنه: "علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المقال لمقتضى الحال"[3]كما يعرفه الزركشي بقوله :" ارتباط آي القرآن بعضها ببعض، حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني منتظمة المباني"[4] وعرفه الفراهي الذي أطلق عليه اسم (النظام) بالقول:" ومرادنا بالنظام أن تكون السورة

1- الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري،مجمع الأمثال، (رقم 4019) , دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج2, 1408هـ - 1988م.ص355.

2- الزركشي, بدر الدين محمد بن عبد الله, البرهان في علوم القرآن, دار الإحياء للكتب العربية ,د ط , 1998م,ص 267.

3- البقاعي , برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر, نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي , القاهرة ,ج1, ص5.

4- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ص267

وحدة متكاملة، ثم تكون ذات مناسبة بالسورة السابقة واللاحقة،.....وعلى هذا الأصل، ترى القرآن كله كلاماً واحداً، ذا مناسبة وترتيب في أجزائه من الأول إلى الآخر"[1].

ومن التعريفات الاصطلاحية السابقة للمناسبة تُلاحظُ الأمورُ الآتية:

ـ الاتصال الوثيق بين التناسب والبلاغة؛ إذ هو "سر البلاغة" كما يؤكد البقاعي، فإذا كانت المناسبة عند البلاغيين هي ترتيب المعاني المتآخية[2]، فإن علم التناسب هو معرفة علل ترتيب الأجزاء. بل لقد عرف بعضهم البلاغة بأنها التناسب أو حسن النظام المرادف له عند أهل الاختصاص ، فهي:" القوة على البيان مع حسن النظام[3]"، فقال:" أبلغ الكلام ما حسُن إيجازه، وقل مجازه، وكثر إعجازه، وتناسبت صدوره وأعجازه[4].

كما ينظر علم التناسب إلى النظام الرابط بين أجزاء السورة جميعا, بل تمتد إلى القرآن الكريم كله, ومن ثّم فإن من تمام بلاغة القرآن أن يتعامل معه باعتبار وحدة واحدة.

ومنه نستنتج مما سبق كله أن جميع الآراء تؤكد أن آيات القرآن الكريم مرتبطة حتى تكون كالجملة الواحدة أو السورة كوحدة واحدة, وهو تعبير غايته تأكيد الوحدة العضوية في القرآن الكريم.

والمناسبة هي علة الترتيب وعند علماء القرآن العظيم هي علل ترتيب أجزائه بعضها ببعض.[5]

1- الفراهي ، عبد الحميد، دلائل النظام، الدائرة الحميدية ومكتبتها، الهند، 1388هـ, ص751.

2- عكاوي إنعام، المعجم المفصل في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، ط1، ج6, 1992م,ص430.

3- ابن رشيق القيرواني، العمدة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، ج1, 1981م,ص244.

4- المرجع نفسه، ص246.

5- السيوطي , الحافظ جلال الدين, مراصد مطالع في تناسب المقاطع والمطالع ,مكتبة المنهاج للنشر والتوزيع, الرياض,ج1, 1462هـ, ص7.

ثانيا :نشأته:

اهتم العلماء والدارسون بعلم يسمى " علم المناسبات" حيث أفرد بعضهم في التأليف فيه ,وخصصوا له آخرون فصولاً في كتبهم, ولم يكتفوا بالحديث عن علاقة الآية بما قبلها وما بعدها, أو العلاقات داخل الآية الواحدة ,وإنما كانوا يتتبعون الخيط الذي يربط آيات السورة من أولها إلى آخرها, ومحورها الرئيس, وعلاقة مطلعها بخاتمتها, واسمها بمحورها وتعقيباتها, ودراسة التناسب بين السورة والسورة التي تسبقها, وتلك التي تليها, بل والمناسبة بين السورة في أول المصحف ونظيرتها في آخره.

عليه فإن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو : متى بدأ هذا العلم؟ وهل له جذور في عصر نزولا القرآن الكريم؟ لا نكاد نجد مصدراً يشير إلى بداية حقيقية لهذا العلم, لكن من خلال تتبع آراء العلماء وأقوالهم فيه تظهر إشارات تدل على بدايته. ظهر هذا العلم أولا باسم(ارتباط الآيات) و(ترتيب الآيات).

ويؤكد الزّركشي(ت 794 هـ) أن أول من ألف في هذا العلم كان "أبو بكر النيسابوري" ,حيث وضع اللبنات الأولى لهذا العلم من خلال تفسيره للقرآن الكريم, حيث أنه في أثناء تفسيره يذكر الحكمة من وضع هذه السورة بجانب السورة الأخرى.

يقول " الحسن الشهر باني :"أول من أظهر بغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره هو الشيخ الإمام" أبو بكر النيسابوري"(261 هـ)... وكان يقول ما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة"[1].

[1] – الزركشي, البرهان في علوم القرآن,ج1,ص 36.

ويضيف "السيوطي" عدد أخر من العلماء الذين تحدثوا عن المناسبة؛ يقول:" أفرده بالتأليف العلامة أبو جعفر بن الزبير... في كتاب سماه البرهان في مناسبة ترتيب سورة القرآن" ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي (ت 885 هـ) في كتابه سماه " نظم الدرر في تناسب الآيات سوره" وكتاب الذي صنعه في أسرار التنزيل كافل بذلك جامع المناسبات

السور الآيات... وقد لخصت منه مناسبات السور... في جزء لطيف سميته" تناسق الدرر في تناسب السور"[1], وكل هذا يؤكد إدراك هؤلاء العلماء – القدامى- لقضية المناسبة.

ثم ذكر آراء لكل من" ابن العربي", و" عز الدين بن عبد السلام", والشيخ "ولى الدين الملوى", والإمام الرازي .وهذا يؤكد, بصورة ضمنية, إدراكهم لقضية المناسبة[2].

لكن الذي لابد من الشبيه له, إلى أن هناك اختلاف بين العلماء حول ترابط, فهناك من رأى أن" القرآن نزل في نيّف وعشرين سنة في أحكام مختلفة وأسباب مختلفة, وما كان كذلك لا يتأتى ربطه بعضه ببعض... لاختلاف العلل والأسباب[3].

ثم يأتي رأي آخر مخالف له, يؤكد أنه" قد وهم من قال:" لا يُطلب للآيات الكريمة مناسبة, لأنها على حسب الوقائع المتفرقة, وفصل الخطاب أنها على حساب الوقائع تنزيلا, وعلى حسب الحكمة ترتيبا"[4].

1- السيوطي, الإتقان في علوم القرآن,ج3, ص322.

2- صبحي إبراهيم الفقي , علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ,دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع, القاهرة, ج2, ط1, 1321هـ, 2000م,ص 89.

3 – الزركشي, البرهان في علوم القرآن, ج1, ص36.

4 – الزركشي, المرجع نفسه, ج1, ص36.

وقد فصل في هذه القضية" صبحي إبراهيم الفقي", حيث يقول:" والذي نراه أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة إلى بين العزة في السماء الدنيا, في ليلة واحدة, ثم نزل على رسول الله ﷺ في نيف وعشرين سنة منجما, وهذا النزول مرة واحدة يوحي بتماسكه

ووجود المناسبة بين الآيات من ناحية وبين السور من ناحية أخرى, ومن ثم فلا مكان للزعم يعد الربط بين آياته وسوره"[1].

ومن العلماء المعاصرين الذين كتبوا في علم المناسبات الشيخ عبد الله محمد الصّديق الغُماري, كتب كتاباً سماه (جواهر البيان في تناسب سور القرآن) ذكر فيه وجه المناسبة بين سور القرآن سورة [2].

والذي نراه أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة إلى بيت العزّة في السماء الدنيا, في ليلة واحدة, ثم نزل على رسول الله ﷺ في نيف وعشرين سنة منجماً. وهذا النزول مرة واحدة يوحى بتماسكه ووجود المناسبة بين الآيات من ناحية وبين السور من ناحية أخرى. ومن ثم فلا مكان للزعم بعدم الربط بين آياته وسوره[3].

وهدفنا في الغرض التاريخي, هو التأكيد على فكرة المناسبة, ووجودها منذ القديم, ومن ثم توظيفها في الكشف عما يبحث عنه في جانبها الدلالي, ألا وهو كيفية انسجام السورة القرآنية وترابطها دلاليا حتى تعطينا وحدة دلالية هي عبارة عن لُحمه واحدة تترابط بدايتها بنهايتها, وترابط هذين الآخرين- البداية والنهاية- مع الموضوعات الرئيسية للسورة ومحورها الذي تدور حوله, وهذا ما سنكشف عنه في دراستنا لسورة الكهف تطبيقيا .

[1] – صبحي إبراهيم الفقي, علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق, ج2,ص98.

[2] – مصطفى مسلم, مباحث في التفسير الموضوعي, دار القلم, دمشق,ط4, 1426 هـ , 2005م, ص 67.

[3] – صبحي إبراهيم الفقي, علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق, ج2, ص89.

ثالثا: موقف العلماء من التناسب :

أن القارئ والباحث في التناسب ,يجد أن مواقف العلماء من القديم قد انحصرت في موقفين اثنين هما:

أ)المؤيدون لوجود التناسب بين الآيات والسور:

لقد اهتم الكثير من العلماء- قديما وحديثا_ بعلم التناسب والربط بين السور والآيات, على اختلاف مشاربهم ,وأول من سبق إلى هذا العلم هو "أبو بكر النيسابوري", وكان متفقها في الشريعة والأدب, وكان يقول إذا قرئ عليه الآية:(لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جانب هذه السورة؟ وكان يزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة)[1], وفي صنيع " أبي بكر النيسابوري" هذا اتجاه جديد إلى الكشف عن الترابط بين السور إلى جانب الكشف عن التناسب بين الآيات, وعليه قد تشعب العلماء في ذكر المناسبات ،ومن أكثر من ذكرها من المفسرين هم:

1-الإمام فخر الرازي :فقد اعتبر أول من دون في التفسير في كتابه "مفاتيح الغيب "بعلم المناسبات في القرآن الكريم ،فقد اهتم بإظهار المناسبة بين الآية والآية ،وبين أجزاء السورة أو بين السورة وسابقتها أو لاحقتها فقدَ قال :"علم المناسبات علم عظيم أودعت فيه أكثر لطائف القرآن وروائعه :وهو أمر معقول إذا عرض على العقول تلقته بالقبول".[2]

2-القاضي أبو بكر بن العربي :فقد كشف عن منزلة هذا العلم بقوله :"ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ،مشتقة المعاني منتظمة المباني ،علم عظيم لم

1- بدر الدين الزركشي, البرهان في علوم القرآن, ص35.

2-فخر الدين الرازي, مفاتيح الغيب, ص1473, وأنظر أحمد عبد الله البيلي البدوي, من بلاغة القرآن, نهضة مصر- القاهرة, 2005م, ص181.

يتعرض له إلاّ عالم واحد عمل في سورة البقرة ثم فتح اللّه عزّوجل لنا فيه ،فلمَا لم نجد له حملة ورأينا الخلق بأوصاف البطلة ختمنا عليه وجعلناه بيننا وبين اللّه ورددناه إليه".[1]

3-السيوطي :ذكر من ضمن إعجاز القرآن الكريم الوجه الرابع منها وهو :"مناسبة آيته وسوره وارتباط بعضها ببعض ،حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني ،منتظمة المباني "[(2)].

4- البقاعي :يقول في نظم الدرر :"نسبة هذا العلم من علم التفسير مثل نسبة علم البيان من علم النحو "[(3)].

5-الزركشي :"وأعلم أن المناسبة علم شريف تقبلته العقول ،ويُعرفُ به قدرُ القائل فيما يقول "[(4)],وغيرهم كثير.

ب) المعارضون لوجود التناسب بين الآيات والسور :

هناك عدد من العلماء عارضوا وردوا عن المناسبات وجعلوا هذا الفن من التكلف المحض, ولا يطلب للآية الكريمة مناسبة لكونها نزلت متفرقة على حسب الوقائع والأحداث, ولعل أبرز من نقل عنهم الاعتراض هما: الشيخ عز الدين بن عبد السلام والإمام الشوكاني.

فأماَ الشيخ عز الدين بن عبد السلام إذ يقول:" المناسبة علم حسن, ولكن يشترط في حسن ارتباط الكلام أن يقع في أمر متحد مرتبط أوله بآخره, فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر". قال :"وربط ذلك فهو متكلف بما لا يقدر عليه إلاّ بربط

[1] – التفسير الموضوعي, لمصطفى مسلم,ص58-59.

[2] – السيوطي ,معترك الأقران في إعجاز القرآن ,ضبطه وصححه أحمد شمس الدين, دار الكتب العلمية بيروت,ط1, 1408هـ,1988م,ص54.

[3] – للبقاعي, نظم الدرر في تناسب الآيات والسور, ص05.

[4] –الزركشي، البرهان في علوم القرآن , ص35-36.

ركيك يصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه ،فإنَّ القرآن نزل في نيفٍ وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة ،وما كان كذلك لا يتأتّى ربط بعضه ببعض ،إذ لا يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضها ببعض ،مع اختلاف العلل والأسباب "[1].

وللإشارة هنا ومن خلال كلام العز يظهر أنه لم يعارض وجود المناسبة والترابط بين الكلام, لكنه اشترط أن يقع الكلام في أمر متحد, وماعدا ذلك فهو يراه تكلف. أما الإمام الشوكاني فقد جاء اعتراضه في بدايات تفسيره لسورة البقرة ، عندما رام الانتقال من قصة آدم إلى أخبار بني إسرائيل ،لينتقد أولئك الذين يقولون بالمناسبة بين القصتين ،حيث يقول رحمه الله :"اعلم أنّ كثيراً من المفسرين جاؤوا بعلمُ متكلّف ،وخاضوا في بحر لم يُكلَّفوا سباحته ،واستغرقوا أوقاتهم في فنَّ لا يعود عليهم بفائدته ،بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه ،وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية ،المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف ،فجاءوا بتكليفات وتعسفات يتبرَّأ منها الإنصاف ،ويتنزَّه عنها كلام البلغاء ،فضلا عن كلام الرّب سبحانه".

إن رأى الإمام الشوكاني يستلزم الوقوف عنده كونه يمثل الاتجاه المقابل للقائلين بالتناسب بين الآيات ,وإن ما ذمّه الشوكاني من التكلف في هذا العلم لا شكّ أنه ذمٌّ في محله ،إذ التّكلف غير مقبول عموم[2].

أما قوله بأن فن المناسبة كلام بمحض الرأي المنهي عنه ففيه مبالغة ،لأن الرأي المنهي عنه هو الرأي الناشئ عن الهوى ،أو غير الملتزم بضوابط التفسير.

1-عبد الله بن يوسف الجديع, المقدمات الأساسية في علوم القرآن ,مركز البحوث الإسلامية ليدز-بريطانيا,ط1, 1422هـ-2001م,ص427.

2- الشوكاني, محمد بن على , فتح القدير, الجزء1, دار ابن كثير, دمشق,ط1, 1414هـ, ص85.

وقد نحى نحوهم من المعاصرين" صبحي الصالح", حيث قال:(ومعيار الطبع أو التكلف فيما لمح من ضروب التناسب بين الآيات والسور يرتد في نظرنا إلى درجة التماثل أو التشابه بين الموضوعات ,فإن وقع في أمور متحدة مرتبطة أوائلها بأواخرها فهذا تناسب معقول مقبول, وإن وقع على أسباب مختلفة وأمور متنافرة فما هذا من التناسب في شيء. وما أصدق قول القائل: المناسبة أمر معقول, إذا عرض على العقول تلقته بالقبول).[1]

ولكن جمهور علماء الأمة خالفوا أصحاب هذا الرأي, ووهموا قائليه, وأكدوا وجود التناسب بين الآيات والسور. وأنه ليس تكلما بمحض الرأي, بل هو يبرز الوحدة المعنوية بين آيات وسور الكتاب العزيز, ويرسخ الاعتقاد بإعجاز القرآن الكريم,لما يبديه هذا العلم من لطائف القرآن وأسراره, كما أنه يعزز رأي العلماء الذين يرون أن ترتيب السور توقيفي, لا اجتهاد فيه.

وللإمام "الشباطي" كلمة رائعة يستحسن أن ننقلها, حيث فيها إلى تعدد القضايا في السورة الواحدة, وأن هذا التعدد لا يمنع من وجود الترابط والتناسب بين الآيات, فيقول رحمه الله تعالى:(غير أن الكلام المنظور فيه, تارة يكون واحدا بكل اعتبار, بمعنى: أنه أنزل في قضية واحدة, طالت أو قصرت, وعليه أكثر سور المفصل. وتارة يكون متعددا في الاعتبار, بمعنى: أنه أنزل في قضايا متعددة, كسورة " البقرة", و" آل عمران", و" النساء", واقرأ باسم ربك أشباهها, ولا علينا أنزلت السورة بكمالها دفعة واحدة, أم نزلت شيئا بعد شيء)[2].

1- صبحي صالح, مباحث في علوم القرآن للشيخ صبحي الصالح, دار العلم للملايين, ط24,كانون الثاني-يناير2000م, ص152.
2- إبراهيم بم موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي, الموافقات,الجزء3, تحقيق:عبد الله دراز, دار المعرفة , بيروت, ص169.

رابعا: أهمية التناسب :

تعرض غير واحد من الذين تكلموا في التناسب إلى فوائدها وثمراتها ومزاياها، وهناك العديد من القواسم المشتركة فيما يقولون، وقد أفاض في ذلك البقاعي وأسد سبحاني، وسعيد حوى، وغيرهم، والسطور الآتية تسعى لاقتطاف أبرز ما قيل:

أ–معرفة المناسبة والنظام مفتاح لكثير من كنوز القرآن وحكمه:

يقول الإمام الرازي إن" أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط"[1]، و البقاعي يؤكد أن " المقصود بالترتيب معان جليلة الوصف، بديعة الرصف، عالية الأمر، عظيمة القدر"[2]، وقال الفراهي: " ولما كان أكثر الحكم ومعالي الأمور مخبؤه تحت دلالات النظم، فمن ترك النظر فيه ترك من معنى القرآن معظمه"[3].

ويجد القارئ أن المفسرين، والمشتغلين بعلوم القرآن والدراسات القرآنية، كثيراً ما يتوقفون عند السر في اختتام آية ببعض الأسماء الحسنى واختتام غيرها بغيرها، وكذا التوقف عند ما أسموه براعة الاستهلال بالنسبة لسورة معينة، أو حسن اختتامها، والمعنى من تتالي آيتين أو سورتين، زائداً على القول السابق في تفسير كل منهما على حدة، ومثله في ترتيب المواضيع في الآية الواحدة، كالسر في ترتيب أركان الإيمان في الآية الكريمة (آمن الرسول...) [البقرة:285]، أو الحكمة في ترتيب وجوه البر، في قوله تعالى: (ليس البر...) [البقرة:177]، والمعاني من كون الفاتحة في أول المصحف، والمعوذتين في آخره.

---

[1]– الرازي، الفخر محمد بن عمر بن الحسين, الشافعي, التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي , بيروت , ط2, 1417هـ–1997م , ص 110.

[2] – البقاعي , نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،ص 8.

[3]– الفراهي، عبد الحميد, دلائل النظام، ص 38.

ب–إظهار أسرار الإعجاز القرآني والكشف عن كنوزه:

التناسب وجه من وجوه الإعجاز القرآني، ودليل آخر على ربانية هذا الكتاب العظيم، يقول البقاعي في نظم الدرر :" وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكن من اللب؛ وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين : أحدهما : نظم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثاني : نظمها مع أختها بالنظر إلى الترتيب "[1].

وحول الإعجاز في الترتيب، يقول الفخر الرازي في ختام تفسير سورة البقرة:" ومن تأمل في لطائف تفسير هذه السورة وفي بدائع ترتيبها، علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب ألفاظه وشرف معانيه، فهو معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته"[2]. وقال الشيخ أبو بكر النيسابوري:" إن إعجاز القرآن البلاغي لم يرجع إلا إلى هذه المناسبات الخفية، والقوية بين آياته وسوره، حتى كأن القرآن كله كالكلمة الواحدة، ترتيباً وتماسكاً"[3].

وعند الأستاذ سعيد حوى أن مثل هذه الدراسات " تضع لبنة في صرح الحديث عن إعجاز القرآن ومعجزاته... (و) أن هذا الترتيب ما بين سور القرآن على هذه الشاكلة التي رتبها الله عز وجل في كتابه، شيء به وحده تقوم الحجة على كل من يتصور أن هذا القرآن يمكن أن يكون بشري المصدر"[4].

ج–النظام يكشف عن قدْر الأمور وأهميتها:

ومثال ذلك معرفة سر اقتران طاعة الرسول ﷺ بطاعة الله تعالى في كثير من الآيات، ومغزى مجيء الزكاة بعد الصلاة في عدة مواطن من كتاب الله، وأهمية الإحسان بالوالدين إذ جاء تالياً للأمر بالتوحيد في أكثر من موطن.

---

[1] – البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ،ص7.

[2] – الرازي ،الفخر محمد بن عمر بن الحسين , الشافعي, التفسير الكبير، ص106.

[3] – حسن، سامي عطا، المناسبات بين الآيات والسور، www.saaid.net ، **نقله** عن: رضوان، د. بسيوني عرفة، الفصل والوصل، مكتبة الرسالة، القاهرة ,ص 39.

[4] – حوى، سعيد, الأساس في التفسير، دار السلام , مصر ط2, 1409هـ-1989م, ص25.

وينقل سبحاني عن الإمام الفراهي قوله:" وقد عظم بيان الجمعة عندي حين علمت كيف مهد الله قبلها من ذكر تسبيح ما في السماوات والأرض، وصفاته الحسنى وفضله على الأمة، وخسران اليهود على استخفافهم بحكم الله، فقد رغّب، ثم رغّب، ثم رهّب، ثم ذكر أحكام الجمعة"[1].

ويضرب "سبحاني" لذلك مثلاً صلاة الجمعة، وكيف يمكننا أن ندرك أهميتها ومكانتها في الدين من خلال النظر في نظام السورة وارتباطاتها بالسور المجاورة[2].

فقد قرنت سورة الجمعة بسورة الصف، وهذا القِران يوحي بأن صلاة الجمعة إعداد وترويض للجهاد، وإذا كانت سورة الصف قد أشادت بالذين يقاتلون في سبيل الله صفاً كأنهم بنيان مرصوص، فإن سورة الجمعة نفت أن يكون الذين هادوا أولياء لله من دون الناس بدليل أنهم لن يتمنوا الموت بما قدمت أيديهم، وهل الجهاد إلا الشوق إلى لُقيا الله تعالى؟.

وفي ذلك يؤكد الفراهي: واعلم أن ذكر الجمعة ها هنا بعد سورة الصف وآية تمني الموت، يشير إلى أنها من أسباب القيام بالجهاد[3].

ومن جهة أخرى فإن اقتران سورة الجمعة بسورة المنافقون، تلميحاً إلى أن الغفلة عن صلاة الجمعة من أمارات النفاق[4].

---

[1] – سبحاني، محمد عناية الله أسد, إمعان النظر في نظام الآي والسور,دار عمار, عمان, ط1, 1424هـ- 2003م, ص167.

[2] – سبحاني، المرجع السابق,ص159-167.

[3] – سبحاني، إمعان النظر في نظام الآي والسور، ص167.

[4] – سبحاني، المرجع السابق، ص 161.

د–تكميل المقصود من كل سورة وفهم المراد من القرآن :

شدد الإمام ابن تيمية، على ضرورة تحزيب القرآن على السور، لا على عدد الكلمات والحروف، كما أكد على أهمية قراءة السورة كاملة في الصلاة لا قراءة جزء من وسطها أو آخرها، وأن ذلك هو السنة وفعل الصحابة والتابعين، ثم بين الحكمة فقال :" وفي ذلك من المصلحة العظيمة بقراءة الكلام المتصل بعضه ببعض، والافتتاح بما فتح الله به السورة، والاختتام بما ختم به، وتكميل المقصود من كل سورة"[1].

وكان الزركشي أكد أن فائدة التناسب "جعل أجزاء الكلام آخذاً بعضها بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم ، المتلائم الأجزاء"[2]، والجعل المقصود هنا هو الجعل في الذهن؛ لأن واقع حال القرآن أنه كالبناء المحكم، لكن صاحب النظرة العجلى قبل التدبر، قد يقع في وهم عدم ارتباط آي القرآن وسوره بعضه ببعض.

هـ–ترجيح القول بتوقيفية ترتيب السور القرآنية:

ذكر الأستاذ سعيد حوى أن إبرازه لنظرية الوحدة القرآنية، سيؤدي إلى أن يزداد " ترجيح بعض الجوانب التي وقع فيها خلاف، كقضية: أن ترتيب السور توقيفي وليس اجتهاديا، فمع أن جماهير الأمة ذهبت إلى هذا؛ فإن هذا التفسير– يقصد كتابه الأساس — سيبرهن على هذا الموضوع بشكل عملي"[3]. ومن اللطيف أن موضوع التناسب القرآني ينطلق من فكرة أن ترتيب السور والآيات توقيفي من خلال النقل، ثم ينتهي البحث إلى تأكيد هذه الفكرة وتعزيزها بعد إعمال العقل.

---

[1] – ابن تيمية، مجموعة الفتاوى، دار الوفاء بالمنصورة، ومكتبة العبيكان بالرياض، ط1، 1418هـ – 1997م,ص224.

[2] –الزركشي، البرهان، ص62.

[3] –حوى، سعيد, الأساس في التفسير، ص 25.

خامسا: أنواع التناسب :

مما يسترعي اهتمام الدارس لكتاب الله ويشد انتباهه, تلك العلاقات القائمة بين أجزائه وسوره وآياته, وما يوجد بينها من مناسبات تزيد من إعجازه وروعة وحسن ترتيبه وقوة سبكه. فالمتأمل لكتاب الله- تعالى- كلما وقف مع سورة من سوره يجد تناسقا عجيبا بين روعة اللفظ وسهولة النطق مع تجلي المعاني ويسرها, وأنها جاءت على قدر المعنى الذي تهدف إليه.

ويمكن أن نحدد التناسب في قسمين كبيرين هما: التناسب في السورة الواحدة و التناسب بين السور, ويندرج تحتهما العديد من الأنواع —كما ذكر الدارسون- ومن جملة هذه الأنواع ما يلي:

أ-التناسب في السورة الواحدة:

التناسب بين كل آية وجارتها يقتضي أن السورة القرآنية وحدة واحدة، وقد مضى في مبحث سابق تشبيه السورة أو تشبيه القرآن الكريم بالبناء الواحد، أو الجسم الواحد، بل وحتى الكلمة الواحدة.

والمعاصرون كالسيد قطب، والدكتور مصطفى مسلم، والدكتور صلاح الخالدي، وسعيد حوى، ومحمود البستاني، وصبحي الفقي، وغيرهم ممن تكرر الرجوع إلى مؤلفاتهم في هذا البحث، استخدموا مصطلحات حديثة من مثل:(الوحدة الموضوعية في السورة، أو الوحدة العضوية، وكذا التماسك، والوحدة البنائية، وعمارة السورة، والتفسير البنائي، فضلاً عن النظام والتناسق والترابط والتناسب والنظم).

وقد أكثر عدد من أئمة التفسير القدماء، من ربط نجوم السورة - أجزاء السورة ومقاطعها - أكثر من مرة خلال التفسير ثم يجملون العلاقة بين هذه الأجزاء وبالأخص قبيل

ختام السورة، شعوراً منهم وإشعاراً لقرائهم بوحدة السورة القرآنية، وفيما يأتي عدد من الأمثلة في ربط المقاطع، ثم أمثلة أخرى قديمة ومعاصرة على تبلور فكرة الوحدة الموضوعية في السور القرآنية.

أ–1:التناسب بين مطلع السورة وختامها:

أغلب الذين اهتموا بالمناسبة التفتوا إلى الصلة بين بداية السورة ونهايتها، أو رد مقطعها على مطلعها، وإن تفاوتوا في ذلك كثرة وقلة، أو قوة وضعفا وهذه بعض الأمثلة التي تبين ذلك:

سورة المؤمنون: قال الزمخشري:" جعل فاتحة السورة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

وأورد في خاتمتها: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾، فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة، "فقد" بُدئت السورة الكريمة بتقرير فلاح المؤمنين، وختمت بنفي فلاح الكافرين؛ تحريضاً على الإيمان، وعلى ما يوجب بقاءه وتنميته، من التمسك بالتنزيل"[1].

أ_2:التناسب بين الآيات في السورة:

مثل ذلك: قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ

[1]– ابن عجيبة الأندلسي، أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423هـ – 2002م,ص44.

﴿كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء الآية: 11.

في الآية الأولى ذكر الإرث بالقرابة مناسب أن يذكر في الآية التالية الإرث بالمصاهرة والتي هي أضعف من الإرث في القرابة, ولكنه قدمها على الإرث بقرابة الأخوة تعريف بالاهتمام به ولأنه بلا واسطة .[1]

أ–3: التناسب بين الآية وفاصلتها:

قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة الآية: 01.

لما كانت الآية تتحدث عن سماع الله لشكوى هذه المرأة, وتألمها من فعل زوجها لما ظاهر منها, ناسب أن تختم الآية بصفة سمع الله لدعائها, وبصره بحالها, فقال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ أي: لجميع الأصوات في جميع الأوقات, على تفنن الحاجات ﴿سَمِيعٌ﴾ يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء, وهذا إخبار عن كمال سمعه وبصره وإحاطته بالأمور الدقيقة والجليلة.[2]

أ_4:الوحدة الموضوعية للسورة:

توقف غير واحد من العلماء عند الوحدة الموضوعية، أو المحور الرئيس في السور القرآنية، ومن الأمثلة على ذلك:

[1]– ابن تيمية، تقي الدين أحمد, مجموعة الفتاوى، دار الوفاء بالمنصورة, ومكتبة العبيكان بالرياض,ط1, 1417هـ–1996م, ص45.
48– بدر الدين الزركشي, البرهان في علوم القرآن ,ص 60.

سورة القلم: يقول الإمام ابن تيمية:" سورة(ن) هي سورة الخُلق، الذي هو جماع الدين ، قال الله تعالى فيها: ﴿ نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ﴾ "[1]. ﷺالذي بعث الله به محمداً وبعد الحديث عن تناسب المقسم به مع المقسم عليه، والغوص في معاني الآيات والموازنة بين صاحب الخُلق القويم، وذوي الخلق الذميم، قال رحمه الله عن السورة:" وختمها بالأمر بالصبر الذي هو جماع الخلق العظيم في قوله تعالى: ﴿ لَّوۡلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعۡمَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلۡعَرَآءِ وَهُوَ مَذۡمُومٞ ﴾ [القلم: 48][2].

ب– أنواع التناسب بين السور:

ب–1: التناسب بين أول السورة وخاتمة ما قبلها:

مثال ذلك: "كافتتاح سورة الحديد بالتسبيح فإنه مناسب لختام سورة الواقعة للأمر به" قال تعالى في مطلع سورة الحديد: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ الحديد الآية: 01.

وختمت سورة الواقعة بالأمر بالتسبيح, قال تعالى: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ الواقعة الآية: 96.[3]

---

[1]– ابن تيمية، تقي الدين أحمد, مجموعة الفتاوى، ص45.

2– محمد , يسري السيد, بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية, دار ابن لجوزي, الدمام, ط3, 1414هـ – 1993م,ص370. .

[3] – الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، دط، 1414هـ – 1994م,ص 216.

ب-2: التناسب مضمون كل سورة لما قبلها:

مثال ذلك: كافتتاح سورة البقرة بقوله تعالى: ﴿الم* ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِين﴾ البقرة الآية: 1-2.

فإنه إشارة إلى الصراط في قوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ﴾ الفاتحة الآية: 06.

كأنهم لما سألوا الهداية إلى الصراط المستقيم قيل لهم ذلك الصراط الذي سألتم الهداية إليه هو الكتاب ([1]).

ب-3: التناسب بين خاتمتي السورتين:

مثال ذلك: وقد اجتهد الباحث بالوقوف على خاتمتي سورة المنافقون والتغابن, فقد ختمت سورة المنافقين بقوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ المَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلاَ أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ* وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ المنافقون الآية: 10-11.

يحذر الله المؤمنين بألا تلههم الأموال و الأولاد عن ذكر الله, ثم حضت على الاتفاق قبل مجي ساعة الموت, فحينئذ لا ينفع الندم, ثم مدحت الله بصفة من صفاته أنه خبير بما تعلمون, ومرجع هذه الصفة أنه متصف بالعلم , وكان أواخر سورة التغابن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ التغابن الآية: 15.

2- الزركشي, البرهان في علوم القرآن,ص38. 39

حذرت الآيات المؤمنين من فتنة الأموال و الأولاد, ثم حضت على الاتفاق, ورغبت فيه بأنه تكفير للخطايا, ثم ختمت بصفة من صفات الله بأنه عالم الغيب والشهادة, ومرة هذه الصفة أن الله متصف بالعلم[1].

ب-4:التناسب بين الفاتحتين:

في القرآن الكريم أزواج أو مجموعات من السور المتجاورة تتطابق فواتحها أو تتقارب، أو يكون بينها وجه من وجوه المناسبة، وسيأتي في المطلب الثاني من هذا المبحث، ما يترتب على المشابهة بين الفواتح من تناسب بين السور تجاورت أم لم تتجاور، وأما هنا فالمقصود إبراز ارتباط فاتحتي السورتين المتجاورتين، ومن أمثلته:

الأنبياء والحج: ذكر أبو جعفر بن الزبير أنه:" لما افتتحت سورة الأنبياء بقوله تعالى: ﴿ اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ الآية: 1 وكان وارداً في معرض التهديد، وتكرر في مواضع... وقد ختمت بمثل ما به ابتدأت، اتصل بذلك ما يناسبه من الإعلام بهول الساعة وعظيم أمرها"[2].

1- البقاعي, نظم الدرر في تناسب الآيات والسور,ص144.

2- البقاعي، المرجع السابق ، 129- 130.

أولا/ لمحة عامة عن سورة الكهف

تمهيد.

1- التعريف بالسورة .

2- سبب نزولها.

3- سبب تسميتها.

4- موضوعاتها وأغراضها.

5- فضل السورة.

الفصل الثاني: التناسب في سورة الكهف

الفصل الثاني

تمهيد:

تعد هذه السورة من أعظم سور القرآن الكريم لتناولها إيمانية إعجازية ..... هامة بدءًا بقصة أهل الكهف وانتهاء بقصة ذي القرنين التي قدم لها بقصة أهم منها، وهي قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام، إضافة إلى قصة صاحب الجنتين التي تلت قصة أصحاب الكهف، والسورة تنتمي إلى القسم المكي لا القسم المدني من القرآن الكريم، فهي مدنية بالاتفاق ، على الرغم مما ورد بشأنها أن بعض آياتها مدنية، إلا أن الأصل هو القول الأول ، وقد اختلف أيضا بشأنها فيما يخص عدد آياتها بحسب القرآن ، فعدد قراء البصرة عدد آياتها مائة وإحدى عشر.

1- التعريف بالسورة:

سورة الكهف مكية، ترتيبها في المصحف الشريف الثامنة عشر ، وآياتها مائة وإحدى عشر آية (على رأي البصريين) ومائة وعشر آية (على رأي الكوفيين)، وروي عن قتادة أن أول السورة نزل بالمدينة إلى قوله " **جُرُزًا** " ، والأول أصح[1] ، سماها رسول الله ﷺ لما فيها من معجزة ربانية _ القصة العجيبة الغريبة _ قصة أصحاب الكهف،[2] نزلت بعد سورة الغاشية وقبل سورة الشورى ، وترتيبها في المصحف ثمان وستون، وهي إحدى السور الخمس التي بدأت بالحمد ، وهذه السور هي: (الفاتحة، الأنعام، الكهف، سبأ، فاطر) ، وكلها تبتدئ بتحميد الله _ جل وعلا_ تقديسا واعترافا له بالعظمة والكبرياء والجلال والكمال[3]، وقد تناولت السورة الكريمة أربع قصص من أعظم القصص القرآني وهي:

أ-قصة أهل الكهف وهي تحكي لنا قصة هؤلاء الشباب الذين فروا بدينهم و لجأوا إلى الغار.

ب-قصة الرجلين من بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر ورثا مالا عن أبيهما الأول اشترى حديقة جملية بها زرع ونخل وماء فتباهى بماله وحديقته وأشرك بالله فأهلكه الله تعالى والثاني أنفق كل ماله في سبيل الله فأدخله الله الجنة.

ج-قصة موسى عليه السلام مع الخضر عليه السلام وهي قصة توضح التواضع في طلب العلم.

---

[1] – عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ت: عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،دط، 1985م، ج2، ص 507.

[2] – الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984م، ج13، ص242.

[3] –محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن، بيروت،ط4، 1402هـ، 1981م، مج2، ص181.

د-قصة ذي القرنين وهو ملك استطاع بالتقوى والإيمان والعمل الصالح أن يمد سلطانه على المعمورة كلها [1]

نزلت هذه السورة في قضية الإيمان والتوحيد وتصبير المؤمنين وتثبيتهم، ولعل ما تبديه مكة _ البلد الحرام _ من الدلالات هو ذلك الجدال وتلك الأسئلة المعجزة عن فتنة أصحاب الكهف وذي القرنين وعن الروح[2].

سورة الكهف مكية قال أبو جعفر النحاس في كتابه " الناسخ والمنسوخ"، حدثني يموت بن المزرع حدثنا أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني، أنبأنا أبو عبيدة معمر بن المثنى، حدثنا يونس بن حبيب، سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول: سألت مجاهدا عن تلخيص آي القرآن، المدني من المكي، فقال سألت ابن العباس عن ذلك فقال: سورة الأنعام نزلت بمكة جملة واحدة، فهي مكية ، إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ﴾ **{151-153}** إلى تمام الآيات الثلاث.

ونزلت بمكة سورة الأعراف ويونس وهود ويوسف والرعد وإبراهيم والحجر والنحل _ سوى ثلاث آيات من آخرها، فإنهن نزلن بين مكة والمدينة – وسورة بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء والحج، سوى ثلاث آيات: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ إلى تمام الآيات الثلاث فإنهن نزلن بالمدينة[3] والشاهد من هذا هو أن سورة الكهف سورة مكية.

[1] – محمد حسين سلامة، الإعجاز العلمي البلاغي في القرآن الكريم، دار الأفاق العربية القاهرة،ط1، 1423هـ- 2002م،ص168.

[2] – فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر،د ط، د ت، ص74.

[3] – جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، علق عليه مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة،ط1،ت ط ، 1429هـ- 2008م، ص33.

- **ذكر الآيات المستثنات:**

استثني من أولها إلى ﴿جُرُزاً﴾ الآية:1-8. وقوله ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية: 28 و ﴿إِنَّ الذِينَ آمنوا﴾ الآية:107. إلى آخر السورة[1].

2- سبب نزولها

وسبب نزولها ما ذكره كثير من المفسرين وبسطه ابن إسحاق في سيرته دون سند، وأسنده الطبري إلى ابن عباس بسند فيه رجل مجهول : " أن المشركين لما أهمهم أمر النبي ﷺ وازدياد المسلمين معه وكثرة تساؤل الوافدين إلى مكة من قبائل العرب عن أمر دعوته بعثوا النضر ابن الحارث وعقبه بن أبي معيط إلى أحبار اليهود بالمدينة يثرب يسألونهم رأيهم في دعوته وهم يطمعون أن يجد لهم الأحبار ما لم يهتدوا إليه مما يوجهون له تكذيبهم إياه، فقالوا: إن اليهود أهل الكتاب الأول وعندهم من علم الأنبياء علم ليس عندنا ، فقدم النضر وعقبة إلى المدينة ووصف اليهود دعوة النبي ﷺ وأخبرهم ببعض قوله: فقال لهم أحبار اليهود سلوه عن ثلاث؟ فإن أخبركم بهن فهو نبي وإن لم يفعل فالرجل متقول، سلوه عن الفتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وسلوه عن الروح ماهي، فجاء جمع من المشركين إلى رسول الله ﷺ فسألوه عن هذه الأسئلة الثلاث فقال لهم رسول الله ﷺ : أخبركم بما سألتم عنه غدا ولم يقل إن شاء الله فمكث ثلاثة أيام لا يوحي إليه، وقال ابن إسحاق خمسة عشر يوما فأرجف أهل مكة وقالوا: وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا اليوم عدة أيام لا يخبرنا بشيء مما سألناه عنه حتى أحزن ذلك رسول الله، ثم جاءه جبريل عليه السلام بسورة الكهف، وفيها جوابهم عن الفتية وهم أهل الكهف وعن الرجل الطواف وهو ذو القرنين وأنزل عليه فيما سألوه عن أمر الروح في سورة الإسراء.

[1] – المصدر نفسه، ص44.

فاتضح من هذا أن أهم غرض نزلت فيه السورة الكهف هو بيان قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين، وقد ذكرت أولاهما في أول السورة وذكرت الأخرى في آخره[1].

3- سبب تسميتها:

سميت سورة الكهف لتناولها قصة أصحاب الكهف.

عظمت الفتنة على أهل الإيمان، فلما رأى الفتية ذلك حزنوا حزنا شديدا وبلغ خبرهم الملك الجبار فبعث في طلبهم فلما مثلوا عند الملك توعدهم بالقتل إن لم يعبدوا الأوثان ويذبحوا للطواغيت، فوقفوا في وجهه وأظهروا إيمانهم وقالوا (ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلها) فقال لهم: إنكم فتيان حديثة أسنانكم وقد أخرتكم إلى الغد لتروا رأيكم، فهربوا ليلا ومروّا براعٍ معه كلب فتبعهم فلما كان الصباح آووا إلى الكهف وتبعهم الملك وجنده فلما وصلوا إلى الكهف هاب الرجال وفرعوا من الدخول عليهم، وألقى الله على أهل الكهف النوم فبقوا نائمين وهم لا يدرون ثلاث مئة وتسع ستين ثم أيقظهم الله وظنوا أنهم قاموا يوما أو بعض يوم، و شعروا بالجوع فبعثوا أحدهم ليشتري لهم طعاما وطلبوا منه التخفي والحذر فسار حتى وصل البلدة فوجد معالمها قد تغيرت ولم يعرف أحداً من أهلها فقال في نفسه لعلي أخطأت الطريق إلى البلدة ثم اشترى طعاما ولما دفع النقود للبائع جعل يقلبها في يده، ويقول: من أين حصلت على هذه النقود؟ ، واجتمع الناس وأخذوا ينظرون لتلك النقود ويعجبون، ثم قالوا من أنت يا فتى لعلك وجدت كنزا، فقال لا والله ما وجدت كنزا إنها دراهم قومي، قالوا له إنها من عهد بعيد قال: وما فعل دقيانوس؟ قالوا مات من قرون عديدة، قال والله ما يصدقني أحد بما أقوله: لقد كنا فتية وأكرهنا الملك على عبادة الأوثان فهربنا منه عشية أمس فأوينا إلى الكهف، فأرسلني أصحاب اليوم لأشتري لهم طعاما، فانطلقوا معي إلى الكهف أريكم أصحابي، فتجمعوا من كلامه ورفعوا أمره إلى الملك

[1] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج13،ص242-244.

– وكان مؤمنا صالحا – فلما سمع خبره خرج الملك والجند وأهل البلدة وحين وصلوا إلى الغار سمعوا الأصوات وجلّبه الخيل فظنوا أنهم رسل دقيانوس فقاموا إلى الصلاة فدخل الملك عليهم فرآهم يصلّون فلما انتهوا من صلاتهم عانقهم الملك وأخبرهم أنه رجل مؤمن وأن دقيانوس قد هلك من زمن بعيد وسمع كلامهم وقصتهم وعرف أن الله بعثهم ليكون أمرهم آية للناس ثم ألقى الله عليهم النوم وقبض أرواحهم فقال الناس: لنتخذن عليهم مسجداً[1].

4- موضوعاتها وأغراضها :

تناولت سورة الكهف خمس قصص من أروع قصص القرآن وهي:

قصة أصحاب الكهف وقصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح وقصة ذي القرنين وقصة إبليس واستكباره عن السجود لأدم و قصة صاحب الجنتين ، وكان السياق القرآني بين القصة والأخرى يضرب مثلاً يشترك في القيمة مع القصة ويلائم العبرة منها، وهذه القصص ذُكرت مرة واحدة في منظومة القصص القرآني فوردت جميعها في هذه السورة.

فأهل الكهف: هم شباب فروا بدينهم من الشرك والظلم، ولأنّ ما يفسد العقيدة ويحرفها إذا كانت النفوس ضعيفة، هو إغواء الشيطان وسلطان المال فضرب مثلاً بعدها بقصة صاحب الجنتين وقصة عصيان إبليس وتكبره.

ثم ذكرت قصة موسى عليه السلام والعبد الصالح: التي تركز على العلم وأهميته وما جرى من الأخبار الغيبية التي اطلع الله عليها لعبده الصالح الخضر و موسى عليه السلام حتّى أعلمه بها الخضر كقصة السفينة وحادثة قتل الغلام وبناء الجدار[2].

[1] - WWW.quram- -radio-com tafseer94.h t m.

[2] – فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته، ص74.

والقصة الثالثة قصة ذي القرنين: وهو ملك مكن الله تعالى له بالتقوى والعدل أن يسيطر بسلطانه على المعمورة وأن يملك مشارق الأرض ومغاربها، وما كان من أمره في بناء السد العظيم، فهذه القصة هي نموذج القوة التي تحث على الجهاد و الإصلاح وبذل الجهد المستطاع لذلك [1].

والقصة الرابعة قصة إبليس واستكباره عن السجود لأدم: وإن إبليس كان من الجن ولم يكن من الملائكة بل كانت مرتبته مثل مرتبة الملائكة عند الله ففسق عن أمر ربه فردده الله أسفل السافلين.

والقصة الخامسة قصة صاحب الجنتين: وهو رجل آتاه الله مالا فكفر بأنعم الله وأنكر البعث فأهلك الله الجنتين.

وكما استخدمت السورة في سبيل هدفها هذه القصص الثلاثة استخدمت أمثلة واقعية لبيان أن الحق لا يرتبط بكثرة المال والسلطان، وإنما هو مرتبط بالعقيدة.

المثل الأول: الغني المزهو بماله، والفقير المعتز بعقيدته وإيمانه، في قصة أصحاب الجنتين.

المثل الثاني: للحياة الدنيا وما يلحقها من زوال وفناء.

المثل الثالث: مثل التكبر والغرور مصورا في حادثة إمتناع إبليس عن السجود لآدم، وماله من الطرد والحرمان، وكل هذه القصص والأمثال بقصد العظة والاعتبار[2].

كما نجد أيضا الترحال أو التنقل الحركة سمة غلبت على القصص الثلاث فالقصة الأولى هروب بالحقيقة هروب الفتنة بإيمانهم ،والقصة الثانية قصة موسى عليه السلام وهي رحلة البحث عن الحقيقة ، أما في القصة الثالثة قصة ذي القرنين فهي إثبات الحقيقة وجعلها

[1] – محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير،ص165.
[2] – محمد علي الصابوني، المرجع نفسه،ص166.

سائدة في مكان ما[1]، وتستغرق القصص معظم آيات السورة، فهي واردة في إحدى وسبعين آية من مئة وعشر آية، ومعظم ما تبقى من آيات السورة هو تعليق أو تعقيب على القصص فيها، وإلى جوار القصص، بعض مشاهد القيامة أو بعض مشاهد الحياة التي تصور فكرة أو معنى على طريقة القرآن في التعبير بالتصوير[2]، أما المحور الموضوعي للسورة الذي ترتبط به موضوعاتها يدور حوله سياقها، فهو تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكرة، وتصحيح القيم بميزان هذه العقيدة [3].

أما أغراضها فقد:

افتتحت بالتحميد على إنزال الكتاب للتنويه بالقرآن تطاولا من الله تعالى على المشركين وملقنيهم من أهل الكتاب.

وأدمج فيها إنذار المعاندين الذين نسبوا لله ولدا، وبشارة للمؤمنين وتسلية رسول الله عن أقوالهم حين تريث الوحي لما اقتضته سنة الله مع أوليائه من إظهار عتبه على الغفلة عن مراعاة الآداب الكاملة.

وذكر افتتان المشركين بالحياة الدنيا وزينتها وأنها لا تكسب النفوس تزكية وانتقل إلى خير أصحاب الكهف المسؤول عنهم، وحذرهم من الشيطان وعداوته لبني آدم ليكونوا على حذر من كيده، وقدم لقصة ذي القرنين قصة أهم منها وهي قصة موسى والخضر عليهم السلام لأن القصتين كليهما تشابهتا في السفر لغرض شريف، فذو القرنين خرج لبسط سلطانه على الأرض، وموسى عليه السلام خرج في طلب العلم.

---

[1] – فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته،ص74.

[2] – موقع إلكتروني، شبكة الحسناوي، البنية في سورة الكهف، محمد الحسناوي .

[3] – سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط15، 1408هـ-1988م، ج5،ص368.

وفيها ذكر قصة تعرض أخبار بني إسرائيل إذ تهمموا بخبر ملك من غير قومهم ولا من أهل دينهم ونسوا خبرا من سيرة نبيهم.

وتخلل ذلك مستطردات من إرشاد النبي ﷺ و تثبيته، وأن الحق فيما أخبر به، وأن أصحابه الملازمين له خير من صناديد المشركين، ومن الوعد والوعيد، وتمثل المؤمن والكافر، للرسل، وما ختمت به من إبطال الشرك و وعيد أهله، و وعد المؤمنين بضدهم، والتمثيل لسعة علم الله تعالى، وختمت بتقرير أن القرآن وحي من الله تعالى إلى رسوله ﷺ فكان في هذا الختام محسن رد العجز على الصدر[1].

5- فضل السورة:

ورد في فضلها أحاديث متفاوتة نذكر منها:

حديث أنس بن مالك أنه قال: "من قرأ بها أعطى نورا بين السماء والأرض و وقي بها فتنة القبر "وقال إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة : إن رسول الله ﷺ قال:" ألا أدلكم على سورة شيعا سبعون ألف ملك ملأ عظمها ما بين السماء والأرض لتاليها مثل ذلك ".قالوا: بلى يا رسول الله ؟ قال: " سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة عمر له إلى الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام وأعطى نورا يبلغ السماء و وقي فتنة الدجال "ذكره الثعالبي و المهدوي أيضا. وفي صحيح مسلم عن أبي الدرداء أن نبي الله ﷺ:" من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال" وفي رواية من آخر الكهف وفي مسلم أيضا من حديث النواس بن سمعان " فمن أدركه- يعنى الدجال- فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف[2].

[1] -محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، ج13، ص245-246.

[2] -أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 1387هـ-1967م،مج5، ج9، ص346.

وفي رواية لمسلم وأبي داود" من آخر الكهف" وعن أبي سعيد الخذري أن النبي ﷺ قال:" من قرأ سورة الكهف كما أنزلت كانت له نورا من مقامه إلى مكة، ومن قرأ عشر من آخرها فخرج الدجال لم يسلط عليه" رواه الترمذي والحاكم في المستدرك والنسائي"[1].

عن البراء بن عازب، قال: كان رجل يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصان مربوط بشطنين فتغشته سحابة، فجعلت تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال: ﴿ تلك السكينة تنزلت بالقرآن ﴾[2].

لقد ألقت السورة الكريمة أضواء كاشفة على كل أسباب الفتن، ففي قصة أصحاب الكهف ذكرت فتنة السلطان، وفي قصة صاحب الجنتين عرضت فتنة المال والرجال، وفي قصة موسى والخضر عليهما السلام عرضت فتنة العلم، وفي قضية ذي القرنين عرضت فتنة الأسباب، حيث أن هذه القصص أعطت المؤمن ميزان الحق لمعرفة الحقائق من الأباطيل، والصدق من الكذب والصحيح من الزيف.

ولاشك أن أوّل حقيقة عظمى يدركها المؤمن صدق رسول الله ﷺ في دعوته وثبوت رسالته، وزيف الدعوات المناقصة لها مهما موّهت واقعها بالشعارات وزخارف القول.

[1] – عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ص507.

[2] – محمد إسماعيل لبخاري، صحيح البخاري، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة،ط1، 1422هـ-ج6، ص188.

ثانيا/ التناسب في سورة الكهف.

تمهيد.

1- التناسب بين اسم السورة – الكهف – و محتواها.

2- التناسب بين اسم السورة وحدث مذكور فيها.

3- التناسب بين فاتحة السورة وموضوعاتها.

4- التناسب بين فاتحة السورة و خاتمتها.

5- التناسب بين قصص السورة .

الفصل الثاني: التناسب في سورة الكهف

تمهيد:

لقد قصّ الله تعالى في القرآن الكريم قصصاً للأنبياء والمرسلين وما دار بينهم وبين أقوامهم،و ما حدث من وقائع و أحداث في زمانهم ،قصّها علينا بأساليب متنوعة يتحقق بها إعجاز القرآن الكريم ،ذلك أنّ أسلوب القرآن له خصائص يمتاز بها عن سائر الأساليب ،فله في المعنى و اللفظ ألوان من التوجيه، وفنون من الإيحاء و التعليم ،كما أنّ له من الجدّة التي لا تبلى ،وتلك الروعة التي لا تزول ، وله مع كلّ ذلك تناسب وترابط فيما بينه وبين ما ورد فيه من سياق و سور ،حيث تجده يخدم الوحدة الموضوعية لكل سورة ذكر فيها ،كما يخدم المقصد العام لها وللقرآن الكريم كله .

فلما كان السياق القرآني يقتضي التماسك والترابط بين المعاني، كان لابد من إثبات حقيقة أكيدة ألا وهي: أن آيات السورة القرآنية جاءت وفق ترتيب قديم مصون في اللوح المحفوظ، لم يطرأ عليه أي تبديل أو تغير، وإنّما هو ترتيب إلهي أراده المنزل سبحانه على حاله دون تدخل من أحد من النّاس ، ولما كان هذا الترتيب على هذا الشّكل الموجود في المصحف الشريف، كان لابد أن تكون هناك مناسبة بين ترتيب هذه الآيات ، وأنّ تلاحم أجزاء السورة يرتبط بمناسبات داخلية بينهما، ولذا كان لابدّ علينا أن نبحث عن هذا التماسك بين معاني الآيات التي حققت لنا وحدة في سورة معينة ، لأن وجود هذه الآيات في سياق سورة واحدة يبنى عن علاقة بينهما ووجه من المناسبة جعل منها وحدة دلالية.

1- التناسب بين اسم السورة_ الكهف_ ومحتواها:

فيما يخص سور القرآن الكريم فنحن نبحث في العلاقة بين اسم السورة ومحتواها، خصوصا إذا علمنا أن أسماء سور القرآن الكريم توقيفية، فنحاول كشف العلاقة بين اسم السورة، وما حوته جوانب هذه السورة من دلالات ترتبط باسمها، وقد نبه علماؤنا القدامى إلى أهمية اسم السورة، فيذهب "الزركشي" إلى أن تسمية السورة باسم معين[ليس إلا تعضيد التقليد معلوم لدى العرب، وهو تقليد يراعي في كثير من المسميات أخذ بأسمائها من نادر أو مستغرب يكون الشيء من خلق أو صفة تخصه... و يسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز][1].

غير أن ذكر حدث معين أو اسم ما في السورة ليس كافيا لتبرير التسمية وقد أورد "الزركشي" جوابا على هذا الاعتراض، في كلامه عن سورة هود وسبب تسميتها بهذا الاسم، قال:[فقد ورد في سورة هود ذكر نوح وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وموسى عليهم السلام، فلمَ تختص باسم هود وحده؟ وما وجه تسميتها به و قصة نوح فيها أصول وأعب؟... تكررت هذه القصص في سورة الأعراف وسورة هود والشعراء بأوعب مما وردت في غيرها، ولم يتكرر في واحدة من هذه السور لثلاث اسم هود عليه السلام، كتكرره في هذه السورة، فإنه تكرر فيها عند ذكر قصته في أربعة مواضع][2].

لكن هل عدد التكرارات يكفي حتى تبرز تسمية سورة بما تكرر فيها؟ يجيب على هذا التساؤل " الزركشي" أيضا بقوله: [لما جردت لذكر نوح وقصته مع قومه سورة برأسها، فلم يقع فيها بغير ذلك كانت أولى بأن تسمى باسمه عليه السلام][3].

---

[1] – الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج1، ص46.
[2] – المرجع نفسه، ج1، ص271.
[3] – الزركشي، المرجع نفسه، ج1، ص271.

يستنتج من أقوال "الزركشي" هذه أن هناك ارتباطا وثيقا بين السورة واسمها، ولو أردت استبدال اسم السورة باسم آخر لم تستطيع.

ولدراسة العلاقة بين اسم السورة- الكهف- ومحتواها أو موضوعاتها لابد أن نقف بداية الأمر على تسمية السورة.

وكما سبق الذكر فإن اسم السورة توقيفي، أي ثابت عن رسول الله ﷺ، فهذه السورة تسمى " سورة الكهف" وتسمى " سورة أصحاب الكهف".

ففي التسمية الأولى "سورة الكهف" اقترنت بالمكان الذي تم اللجوء إليه (الكهف)، من أحد الاحتماء به من ظلم قومهم خوفا من الوقوع في الفتنة، فلجأوا إلى مكان حصين يحفظ عليهم دينهم وعقيدتهم، فلو نظرنا إلى هذا الاسم وإلى موضوعات السورة لوجدنا بين الاسم والموضوعات نوعا من العلاقة والارتباط، إذ " إن الموضوعات المعروضة في هذه السورة الكريمة من تدبرها ولجؤوا إليها كانت لهم كالكهف الحصين من الفتن جميعا... فإن كان الوضع الذي لجأ إليه الفتنة كهفا محسوسا ملموسا، فإن الكهف الذي يأوي إليه قارئ هذه السورة كهف معنوي من عناية الله سبحانه وتعالى وحفظه وستره فلا تؤثر فيه الفتن المعروضة"[1]، وهي فتن الحياة الدنيا (فتنة المال، السلطان، العلم،...).

فكان هذا الكهف سببا من أسباب سلامة أهل الإيمان (الفتنة) من بطش الكافرين وفتنهم، وكان التمسك بالكتاب يعتبر بمثابة الكهف الذي يحقق السلامة من فتن الحياة الدنيا، فظهر بذلك مدى انسجام محتوى السورة من تعلق وارتباط باسمها.

وإذا نظرنا إلى التسمية الثانية وهي" أصحاب الكهف" نجدها قد اقترنت بالأشخاص الذين لجأوا إلى الكهف.

[1]- مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي ، ص179.

إن أصحاب الكهف أنموذج فريد للوقوف في وجه الباطل، وسيرتهم، مثال لمن يبتلى ويفتتن في دينه، لذا كانت هذه التسمية أيضا ذات علاقة بموضوعات السورة[1]، والله أعلم بأسرار كتابه ومرداه من كل لفظ ، فتعلق ذلك وترابط باسم السورة وتماسكها بموضوعاتها الأساسية، وأحدث بذلك انسجاما نصيا.

2-التناسب بين اسم السورة وحدث مذكور فيها:

لكي نستنبط وجه المناسبة بين اسم السورة و أحداثها ، لا بد أن يكون اسم السورة توقيفيا أي ثابتا عن الرسول ﷺ : الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ إن هو إلا وحي يوحى ﴾ [2].

فعنوان النص بصفة عامة أول ما يواجه المتلقي أو محلل النصوص، ومن ثم مكانة العنوان عالية في إبراز التماسك النصي ، فلا بد لنا من النظر إلى اختصاص سورة (الكهف) بهذا الاسم ،فهذه السورة كما سبق أن ذكر تحوي خمس قصص :قصة أصحاب الكهف ،وقصة صاحب الجنتين ، قصة آدم و إبليس، قصة موسى مع العبد الصالح ،قصة ذي القرنين ،فأول قصة فيها هي قصة أصحاب الكهف، هؤلاء الفتية خافوا على دينهم وخافوا على عقائدهم من أن يجبرهم حكامهم على عبادة غير الله ففروا بدينهم إلى كهف في الجبل يختبئون فيه من الطغاة الكفرة، والكهف مكان ضيق لا يستطيع الإنسان أن يمضي فيه إلا وقتا قصيرا واقرأ قول الحق جل جلاله :

﴿ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلاَّ اللهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّءْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُمْ مِّرْفَقًا ﴾ الآية:16.

[1] - المرجع السابق، ص 180.

[2] -مصطفي مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي،ص179.

فهؤلاء أراد الله تبارك وتعالى أن ينيّمهم في الكهف داخل الجبل نوما عميقا ولعدة سنوات طويلة وحتى لا تأتي أشعة الشمس وضؤها فتوقظهم جعل أشعة الشمس تميل عن كهفهم إذا أشرقت وإذا غربت لا يدخل من أشعتها إلاّ القليل...و تكون هذه من كل الأصوات التي تقلقهم مثل: العواصف والرياح والبرق والرعد وأصوات الحيوانات المفترسة التي قد تمر بالقرب من الكهف وكل هذه الأصوات تزعج النائم وتجعله يستيقظ من نومه.

كما اخبرنا سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴾ الآية 19.

ولابدّ أن نتوقف عند قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ لأن هذا يدلنا على أنّ الحق تبارك وتعالى أوقف تأثير الزمن عليهم فكانوا في هذه الفترة خارج الزمن ولم يحسّوا بوقت نومهم.

وبذلك تكون قد سميت بأول قصة ذكرت فيها وقد أثبتنا التماسك أو العلاقة بين هذه القصص، حيث ذكرنا أن القصص الخمس تبرز كيفية النجاة من الفتن، وتؤكد نصر المؤمن على الكافر، ومن ثم تسمية السورة بأول هذه القصص.

3- التناسب بين فاتحة السورة وموضوعاتها:

لقد تم التطرق في سورة الكهف –كما ذكرنا سابقا- إلى قصة أصحاب الكهف، وقصة صاحب الجنتين ولقاء موسى عليه السلام والخضر ، وما كان من أمرهما، وذكر الرجل الطواف وبلوغه مطلع الشمس ومغربها وبنائه سد يأجوج و مأجوج ، وكل هذا إخبار بما لا مجال للعقل فيه ، ولا تعرف حقيقته إلا بالوحي و الأنباء بالصدق الذي لا عوج فيه ولا امتراء ولا زيغ ، ناسب ذكر افتتاح السورة ، المعرفة بذلك الوحي المقطوع به ، قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لله الذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَـمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ الآية: 01.[1]

أ- فيتناسب هذا مع المقطع الأول من قصة أصحاب الكهف التي هي قصة كل قوم يفرّون من الطغاة الذين يحاولون أن يجبروهم عن الكفر بالله فيفروا بدينهم و يختبؤوا في الكهف، في قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنَ آيَاتِنَا عَجَبًا * إذا أوى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا أَتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهيِّئْ لَنَا أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ الآية 9-10.

ب-أما تناسب المقطع الثاني مع الافتتاحية فقد اشتمل أيضا على لونين من المبادئ و القيم:

*الباطل ويتمثل في موقف زعماء قريش المتجبرين المتكبرين على عباد الله بسبب ما أوتوا من مال وجاه، فأتبعوا أهوائهم وطلبوا من الرسول ﷺ طرد فقراء المسلمين المستضعفين .

وشبه حال هؤلاء القوم بحال صاحب الجنتين الذي أبطرته النعمة فتكبر وتجبر وكفر بالآخرة.

*والحق يتمثل في موقف المؤمنين الفقراء الضعفاء الذين أمر رسول الله ﷺ أن يصبر نفسه معهم ، فقد وصفوا بالإخلاص والمثابرة على طاعة الله وعبادته ، وضرب لهم المثل بمحاور

1-السيوطي ، معترك الأقران في إعجاز القرآن، ضبطه وصححه، أحمد شمس الدين،دار الكتب العلمية، بيروت،ط1، 1408هـ-1988م، ج1،ص64-65.

صاحب الجنتين الذي قال كلمة الحق للغافل المتكبر وبين له إن العزة الحقيقية و الغناء الحقيقي لمن ملك الإيمان بالله سبحانه وتعالى واسغن بها عنده ما في أيدي الناس كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴾ الآية:28.[1]

ج-أما عن التناسب الواضح بين افتتاحية السورة وهذا المقطع نلحظ الدعوة إلى ترسيخ فيه وحقائق، ولعل أبرز القيم في هذا المقطع تتبلور في:

*كرامة آدم وذريته على الله تعالى بإسناد مهمة الاستخلاف في الأرض له، و إسجاد الملائكة له ، وطرد إبليس من رحمته من اجله .

*قدوة الضالين إبليس المتمرد على طاعة ربه، وبسبب هوايته وعتوه وتكبره، فمن يتخذه وذريته أولياء من دون الله فقد جاء بالخسران المبين ، ونستظهر فداحة الخسارة يوم ينادونهم فلا يستجيبون . وهذا في قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ الآية:50.[2]

هـ-وفي سياق قصة موسى والخضر عليهما السلام لون رفيع من ألوان التربية القرآنية و إلزام النفس الإنسانية حدود معينة في ترك الجدل و لو كان أمام واقعة ظاهرها الانحراف . في قوله

[1] -محمد متولّي الشعراوي، سورة الكهف ،ص8.

[2] -مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفي مسلم،ص241-242.

تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا * فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ الآية:60-61.[1]

و- لقد جاءت قصة ذي القرنين في خاتمة القصص السابقة لتبرز القيم الصحيحة واقعا متمثلا في سيرة أحد عباد الله الصالحين ، ولا تكون مبطنة خيالات ومثل لا مجال لتطبيقها على هذه الأرض في الواقع البشري ، بالإضافة إلى أنها من نوع القصص الذي كان فيه تثبيت قلب الرسول ﷺ ، لتكون إقحاما لأولئك الذين أرادوا إطفاء نور الله بتوجيه هذه الأسئلة التعجيزية، ولتكون دليل صدق على أنّ هذا وحي من الله.

قال تعالى : ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا ﴾ الآية 83و 84.[2]

4- التناسب بين فاتحة السورة و خاتمتها:

إن تعدد الجمل وكثرة الفقرات في كثير من النصوص يؤدي بنا إلى نسيان مطلع هذا النص وحينئذ يأتي النص بخاتمة تذكر بمطلعة، وذلك قد تكون نتيجة تكرار معنى ذكر في مطلع هذا النص أو بذكر جمل في هذه الخاتمة تكون مفسرة لما هو موجود في المقدمة أو غير ذلك من العلاقات التي تربط بداية النص بنهايته، محققة بذلك تماسكا نصيا، وانسجاما دلاليا، وإذا نظرنا إلى سورة الكهف وجدنا المناسبات بين افتتاحية السورة وخاتمتها كثيرة وواضحة حيث:

أ_ جاءت في افتتاحية السورة توجيه الحمد المطلق لله تعالى، فهو المستحق له، وعلة ذلك أنه أنزل هذا الكتاب العظيم على ﷺ لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ

[1] - ينظر، المرجع السابق ،ص ص253-255.

[2] -ينظر، مصطفى مسلم ،مباحث في التفسير الموضوعي ،ص ص،299-303.

﴿ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَاً ﴾ الآية:01، فهو ثناء على الله تعالى لأفعال وإرشاد العباد التوجيه إليه بما يستحق من الذكر والشكر والعبادة.

وجاء في الخاتمة تخصص الله تعالى بالعبادة والذكر والشكر، وسائر الأعمال الصالحة[1].

وذلك في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ الآية:110.

فتكون السورة قد افتتحت بذكر الألوهية واختتمت بذكر الربوبية.

ب- الوحي المنزل من الله سبحانه وتعالى: جاء التعبير عنه في افتتاحية السورة وفي خاتمتها، حيث كان في الافتتاحية بلفظ قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجاً ﴾ الآية:01.

وجاء التعبير عنه في خاتمة السورة بصيغة ﴿ كَلِمَاتِ رَبِّي، يُوحَى إِلَيَّ ﴾ والكتاب الذي أنزله الله على عبده ورسوله محمد ﷺ جزء من الكلمات التي لا تحصى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ الآية: 109.

ج- ومن مناسبة افتتاحية السورة وخاتمتها، هو قوله تعالى في الآية الأولى: ﴿ الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ ﴾ الآية: 01 ، فالرسول ﷺ هو المنزل عليه هذا الكتاب.

[1]- مصطفي مسلم، المرجع السابق ، ص180.

فجاء بصيغة " عبده" لتدل على أن المنزل عليه الكتاب عبد من عباد الله، إلا أنّ إنزال الكتاب عليه ميزته عن باقي البشر.

وقد جاء في خاتمة هذه السورة ما يثبت هذا أيضا، وأن الرسول بشر، ليست له ميزة عن باقي البشر إلا بالوحي، في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ ﴾ .

د_ تحديد مهمة الرسول ﷺ: وهي ذات شقين- حمل البشارة للمؤمنين المتقين الملتزمين بالهدايات الربانية سلوكًا ومنهج حياة، وهذه البشارة هي الخلود في جنات النعيم.

_ إنذار المكذبين بما جاء به رسول الله ﷺ، المتخذين لله أنداداً وشركاء بالمصير السيء وهو جهنم وساءت منزلاً ومقيلاً.

جاء ذكر المهمة بشقيها في افتتاحية السورة في قوله تعالى: ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ، مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً ﴾ الآية:2-3 .

وفي قوله تعالى: ﴿ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُواْ اتَّخَذَ اللهُ وَلَداً ﴾ الآية:04 .

كما جاء بيان المهمة بشقيها في خاتمة السورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً ، خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ الآية: 107-108.

وجاء الإنذار في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً ﴾ الآية: 102.

وفي قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴾ الآية:106.

هذه بعض المناسبات بين افتتاحية السورة وخاتمتها تثبت التماسك النصي لهذه السورة متمثلة، في ذلك الترابط والتلاحم بين البداية و النهاية ، مساهمة في إبراز نصية النص.

5-التناسب بين قصص السورة:

ومن الملاحظ أن هذه السورة "**سورة الكهف**" من السور التي تؤكد قضية أساسية من قضايا السور المكية، وهي قضية التوحيد، وتسري روح هذه القضية من بداية السورة حتى نهايتها، وهذا التماسك الواضح ينعكس على موضوعات السورة المتنوعة، تلك الموضوعات التي تؤكد هذه القضية، وأن النصر فيها دائما للحق، كما سنوضح، تحمل هذه السورة المباركة بين طياتها تفصيلات لبعض القصص، وهي قصة أهل الكهف، والجنتين، وموسى مع العبد الصالح، وذي القرنين ، وكذلك موجزة إلى قصة آدم عليه السلام مع إبليس عليه لعنة الله. إضافة إلى تعقيبات على كل قصة تتناسب مع القصة، وتربط كل قصة وما يليها من ترتيب هذه القصص كالتالي:[1]

(1)	(2)	(3)	(4)	(5)
أصحاب ↓ الكهف	قصة ↓ الجنتين	قصة آدم ↓ مع إبليس	قصة موسى ↓ مع العبد الصالح	قصة ذي ↓ القرنين

[1] – صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، ج1، ص290-291.

-افتتحت بالتحميد على إنزال الكتاب للتنويه بالقرآن تطاولا من الله تعالى على المشركين و ملاقنيهم من أهل الكتاب.

وأدمج فيه إنذار المعاندين الذين نسبوا لله ولدا وبشارة للمؤمنين وذكر افتتان المشركين بالحياة الدنيا وزينتها وأنها لا تكسب النفوس تزكية وانتقل بعدها إلى خبر أصحاب الكهف[1]،حين نجد الأجر الكبير لأصحاب الكهف وزيادة الهدى ونجاتهم من القوم الظالمين الذين عبدوا آلهة من دون الله.

فذكر الله تعالى لقصة أهل الكهف التي تمثل الصورة الذهنية والبطولة في سبيل العقيدة والأيمان، أعقبها بذكر صاحب الجنتين وهي نموذج آخر للعقيدة ممثلة في قصة الأخوين من نبني إسرائيل: المؤمن المعتز بإيمانه، والكافر وهو صاحب الجنتين وما فيها من عبر وعظات، وفي ثنايا الآيات جاءت بعض التوجيهات القرآنية الكريمة[2].

وفي القصة الثالثة نجد إشارة موجزة إلى قصة آدم مع إبليس، واتخاذ إبليس وذريته أولياء من دون الله، على الرغم من كونهم أعداء للإنسان لذلك وصفهم الله بالظالمين ﴿ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴾ ومن ثم يفهم أن من لم يتخذ إبليس وليًا فإنه ليس من الظالمين، بل من الفائزين[3].

وقدّم لقصة ذي القرنين قصة أهم منها وهي قصة موسى والخضر عليهما السلام ، لأن كلتا القصتين تشابهتا في السفر لغرض شريف. فذو القرنين خرج لبسط سلطانه على الأرض. وموسى عليه السلام خرج بطلب العلم وما جرى من الأخبار الغيبية التي أطلع الله

[1] – طاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، ص246.
[2] – محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير ، ج2، ص174.
[3] –صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، ج1، ص292.

عليها ذلك العبد الصالح " الخضر" ولم يعرفها موسى عليه السلام حتى أعلمه بها الخضر كقصة السفينة و حادثة قتل الغلام، وبناء الجدار. [1]

أ–التناسب بين افتتاحية السورة وقصة أصحاب الكهف:

ننتقل من الحديث عن مناسبة افتتاحية السورة وموضوعها إلى المناسبة بين هذه الافتتاحية وموضوع معين من هذه الموضوعات ألا وهو قصة أصحاب الكهف وكيف تحقق الانسجام أو التماسك الدلالي في هذا الجزء من السورة على طريق هذه المناسبة.

و الملاحظ أنّ هناك مناسبات بين افتتاحية السورة وقصة أصحاب الكهف نذكر منها:

أ–1: أنّ هناك مناسبة في قوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾ الآية:06، ناسب مجيء الجواب الذي سئل عنه النبي ﷺ، في قصة أصحاب الكهف، تأكيدا على موقف السائلين وعنادهم، فهم لا يؤمنون حتى ولو جاءهم الجواب عن أسئلتهم، ثم اتصال قصة أصحاب الكهف بالسورة بصفة عامة اتصال واضح كون السورة جاءت كجواب عن الأسئلة المطروحة عن الرسول ﷺ.

أ–2: هناك مناسبة أيضا بين القيم الموجودة في الافتتاحية وما هو موجود في قصة أصحاب الكهف بالنسبة للفتية، ففي الافتتاحية يقول الله تعالى:

﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ الآية:02، وأيضا قوله تعالى: ﴿ لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الآية:07، وفي قصة أصحاب الكهف معلوم من هؤلاء الفتية أنهم عملوا شيئا صالحا ألا وهو فرارهم بدينهم إلى هذا الكهف قصد عبادة الله،

[1] – ينظر : محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، ج2،ص166.

حتى لا يقف في وجههم السلطان، فهذا من أجل الأعمال الصالحة كونهم لم يرتدوا عن هذا الدين ولم يستسلموا للسلطان الظالم، ويعتبر هذا ابتلاء عظيما ليميز الله أيهم أحسن عملا، فهو تناسب واضح بين افتتاحية السورة وهذه القصة مما حقق نوعا من التماسك في هذا الجزء من السورة.

ب- التناسب بين القصة الأولى(أصحاب الكهف) والقصة الثانية (صاحب الجنتين):

ويستمر تحقيق التناسب بين السورة ومقاطعها ، وهذا عبر المناسبة بين قصة أصحاب الكهف وقصة صاحب الجنتين، فكانت هناك مناسبات جمعت بين مضمون القصتين تمثلت فيما يلي:

ب-1:المناسبة بين تعقيب القصة الأولى مع القصة الثانية، حيث أنّ ذكر المثل ناسب موقف المشركين لما طلبوا من الرسول ﷺ طرد الضعفاء المؤمنين من مجلسه لكي لا يعبر بهم من الأسياد فيقال أنهم جلسوا من الأرقاء والفقراء والمستضعفين في مجلس واحد، فهذا في نظرهم مما يزري بمكانتهم[1]، فجاء الرد عليهم من الله عز وجل: (الفخر بالعرض الزائل من أجهل الجهل، وأن المؤمنين لا يعيبهم فقرهم ، ولا يسوغ طردهم من أجله، وأنه بوشك أن يعود فقرهم غنى ضعفهم قوة)[2].

ب-2: اشتملت قصة أصحاب الكهف على الصراع بين الباطل المتمثل في السلطة الطاغية المتجبرة وبين الحق المتمثل في نور الإيمان ومشعل الحق الذي آمن به الفتية[3].

[1] -مصطفي مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص 221.
[2] - البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج4، ص471.
[3] - مصطفى مسلم، المرجع السابق،ص220.

فناسب هذا ما جاء في قصة صاحب الجنتين والتي مثلها ذلك الصراع بين القيم الحقيقة الصحيحة الباقية، وتلك القيم الزائفة، فقابل بذلك إيمان الفتية الحقيقة الموجودة في قصة الجنتين وتكبره، فناسب بذلك محتوى القصة الأولى محتوى ما جاء في الثانية، ليعمل بذلك على انسجام بين هذين المقطعين دلاليا.

ب–3: يضاف إلى هذه المناسبات أن قصة صاحب الجنتين سيقت بمثابة التقريع والتوبيخ لزعماء قريش الذين أهملوا عقولهم و أعقلوا معرفتهم بمحمد ﷺ وصدقة ونزاهته وأمانته و أرسلوا إلى اليهود ليعطوهم ما يتحققون به صدق محمد في دعوته [1].

فسيق لهم هذا المثل أن من أعقل قلبه عن ذكر الله واتبع هواه وكانت قيمته التي يتحكم إليها المال والجاه، وضل ضلالا بعيدا، فلا ينظر إلى الأمور بمنظار الغني المادي وكثرة الرجال وعلوا الجاه والمنزلة بين الناس[2].

ج–التناسب بين قصة صاحب الجنتين وقصة آدم و إبليس:

سنستمر في الحديث عن وجه المناسبة بين مقاطع السورة ومهمته في تحقيق تماسك السورة عبر الجزء التالي صاحب الجنتين، ألا وهو قصة آدم وإبليس، والذي تتضح بينهما وجه المناسبة فيما يلي:

ج–1: لما كانت زينة الحياة الدنيا أكبر همهم ومبلغ علمهم بين لهم في هذا المقطع – قصة آدم وإبليس، أن يُزين لهم ذلك هو عدوهم الأول إبليس، فلا ينفي اتخاذه وذريته أولياء لأنه سيؤدي بهم إلا المهالك[3]، ويكون بذلك مصيرهم النار في يوم يوضع فيه الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، إلا أحصاها.

---

[1]– مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص222.

[2]– المرجع نفسه، ص222.

[3]– المرجع نفسه ، ص242.

ج–2: لما ذكر البعث وختمه وإحسانه بالعدل المتمر لإعطاء كل ما يستحقه، أتبعه بما له من الفضل ب ابتداء الخلق الذي هو دليله، في سياق مذكر بولايته الموجبة للإقبال عليه وعداوة الشيطان الموجبة للإديار عنه[1] .

ج–3:أيضا من التناسب الحادث في قصة آدم وإبليس وما قبلها، والذي أحدث نوعا من التماسك بين هذا الجزء من السورة، هو أن هناك تشابه بين المواقف الثلاثة:

- موقف مشركي قريش من الفقراء المسلمين وتكبرهم عليهم.
- موقف صاحب الجنتين وتكبره على صاحبه.
- موقف إبليس من آدم عليه السلام، وإبليس هنا في هذه الحادثة، يعتبر قدوة كل متكبر على الحق[2]، فهي ثلاثة مواقف في التكبر اختتمت بذكر قصة قائد المتكبرين ، فكانت عبارة عن مواقف تدور حول محور واحد مترابط.

د– التناسب بين قصة موسى مع العبد الصالح وما قبلها:

هناك مناسبات عدة بين هذه القصة وما سبقها عملت على الربط بين آيات هذا الجزء من السورة وحققت التماسك النصي بينه، وسأذكر بعض وجوه هذه المناسبة الواضحة الارتباط بالمقطع السابق:

د–1:تتعلق قصة موسى والخضر عليهما السلام بالهدف الأساسي لسورة الكهف، من حيث الاستنكار على اليهود الذين زودوا وقد قريش بأسئلة تعجيزية ليتثبتوا حسب زعمهم صدق النبي صلى اله عليه وسلم فيما جاءهم، فسبقت لهم هذه الحادثة أن هذا المنهج ليس فهما صحيحا في التثبت من صدق النبي، فهذا موسى عليه السلام، من أعظم أنبياء بني إسرائيل وأكرمهم على الله تعالى، لم يعلم ثلاث مسائل، واحتاج إلى من يعلمه إياها، ولم

[1]– البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ج4، ص475.
[2]– مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي ، ص242.

يؤثر ذلك على مكانته العظيمة[1]، كونه من أولي العزم من الرسل، فجاءت هذه القصة مبنية لهم قصورهم المعرفي، وأن الله يؤتي العلم من يشاء.

د–2:اشتباه موقف النبي ﷺ حينما قال:(أجيبكم غدا)، ولم يفعل، بموقف موسى عليه السلام حين وعد الخضر بالتزام الصبر و لم يفعل[2].

د–3:إن قصة موسى مع الخضر عليه السلام " إرشاد من استنكف أن يجالس فقراء المؤمنين لموسى عليه السلام من أنه وهو–كليم الله– اتبع الخضر عليه السلام ليقتبس منه عمله[3]، هذا على الرغم من أنه المؤمن الفقير خير من المشرك الغني إن كان أعلى منه منزلة في الدنيا في نظر بعض الناس.

كل هذه المناسبات بين قصة موسى والخضر عليهما السلام وما قبلها، عملت على ربط هذا الجزء، ومن خلال الدلالات التي احتوتها هذه الآيات، فتناسب وجود بعض المفاهيم والقيم في هذه القصة، وجودها في المقطع الذي سبقها، وكان عاملا على تماسك هذا الجزء نصيا، فترابطت بذلك الدلالات وأحدثت نوعا من الانسجام بين فقرات السورة.

هـ– التناسب بين قصة ذي القرنين والقصص السابقة:

إن هناك تناسب تام وانسجام بين قصة ذي القرنين والقصص السابقة، لأن كل هذه القصص استهدفت ترسيخ قيم معينة، وهي القيم الصحيحة، والحث على الابتعاد عن القيم الشر والفساد، لأنها قيم باطلة وزائفة، مما أحدث تناسب بين هذه القصص وتماسك دلالي بينهما، توضحه بعض هذا التناسب في الآتي:

[1]– مصطفي مسلم، المرجع السابق،ص254.
[2]– البقاعي ، نظم الدرري تناسب الآيات والسور،ج4،ص 486.
[3]– البقاعي، المرجع السابق، ص485.

هـ-1:لما كانت القيم الزائفة في قصة أصحاب الكهف هي السلطة الغاشمة الظالمة، التي ادعت الألوهية من دون خالق السماوات والأرض، ووضعت نفوذها في غير المجال التي خلقت من أجلها السلطة.

وإذا انتقلت إلى قصة ذي القرنين ذلك الحكم الصالح الذي مُكّن به في الأرض وأوتي من كل شيء سببا، فدالت لسلطته الأمم والشعوب، وفُتحت له الأقاليم، وألقت الملوك له قيادها، يحكم فيها بالعدل ولإحسان، وعمران الأرض[1]، كل هذا خدمة للعباد و إبعادا للفساد في الأرض، ومنع الظلم والطغيان على المستضعفين، قال: ﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ. ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ الآية:87.

فذو القرنين عكس الملك الذي فرّ من ظلمه أصحاب الكهف، إذ أن استعمل سلطانه وحكمه وقوته في المكان الذي خلقت من أجله وهي تحقيق العدل في الأرض ومنع الظلم، فاستعملها في موضع شكر عمل عملي للخالق الذي وهبها إياه، أما ملك أصحاب الكهف فقد استعملها في غير موضعها، فتناسب ذكر الملك الظالم في هذه القصة، مع الملك الظالم في هذه القصة، مع الملك الذي مُكنّ له في الأرض بسبب عدله ونصره للمظلومين وتحقيق شريعة الله في الأرض، فالأولى قيمة باطلة زائفة يجب الحذر منها وفي الثانية قيمة مضادة لها، صالحة يجب السير على نهجها.

هـ-2:نجد في قصة صاحب الجنتين أن زينة الحياة الدنيا والمتمثلة في المال والنفر أنها لا تعتبر قيمة حقيقة، في قوله تعالى: ﴿ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ الآية:34، بل هي قيمة زائفة.

[1]- مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي،300-301.

ونجد ما يقابلها في قصة ذي القرنين أنه أعرض عن زينة الحياة الدنيا وجعل ما مكنه فيه الله خيراً أنه هو القيمة الحقيقة الباقية، وقال: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ الآية: 95.

إذا حدث شيء من الإنسجام بين الموضوعين قصة صاحب الجنتين ومضمون قصة ذي القرنين، خصوصا من حيث القيمة الزائفة الأولى وما يصادفها من القيم في القصة الثانية، إذا كان نوع من الحديث عن القيمة وعكسها، فتماسكت بذلك أجزاء ودلالات هذه القصص على الرغم من وجود فاصل بينهما.

أما القصة الثانية التي حدث تناسب بينهما وبين قصة ذي القرنين فهي قصة موسى والخضر عليهما السلام.

حيث نجد أن هناك قيمتان صحيحتان ومن قصة موسى والخضر عليهما السلام، إلا أن إحداهما تتعلق بالعلم الظاهر الذي تتسامى به الأمم والشعوب.

والأخرى تتعلق بالعلم الخفي الذي لا يطلع عليه أحق إلا بمقدار ما يعلمه الله سبحانه وتعالى من لدنه.

نجد أن القيمتين تبرزان في قصة ذي القرنين، فقد أوتي من كل شيء سببا، وهي الأسباب الظاهرة من الخبرة و العلوم المتعلقة بسياسة الشعوب والأمم وعمارة الأرض ... وكل من شأنه أن يمكن له في الأرض من أسباب عزة الدولة والحاكم العادل وترسيخ أقدامه في الأرض [1].

[1] - مصطفي مسلم، المرجع السابق، ص301.

إلى جانب هذه الأسباب الظاهرة نجد قوة العقيدة المتمثلة في الإيمان المطلق بالله عز وجل، وأن هذا التوفيق والتمكين كان بمحض والفضل من رب العزة جل جلاله، ﴿ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾ الآية:98.

فتناسب ما جاء في قصة موسى والخضر عليهما السلام، وما جاء من قيم أيضا في قصة ذي القرنين، مما جعلهما متماسكتين فيما بينهما، تأخذ هذه بأطراف الأخرى مما يحقق ذاك التعالق بين مضمون هذه القصص خصوصا مع جانب القيم فحقق ذكر هذه القيم انسجاما دلاليا في هذا الجزء من السورة.

وبشكل عام فإن علاقة قصة ذي القرنين بالقصص الثلاثة السابقة لها، علاقة انسجام تام بين دلالات القصص، كون هذه القصص كلها تتحدث وتكشف أسباب بعض فتن هذه الحياة الدنيا.

هذه من أهم المناسبات بين أجزاء السورة ومقاطعها، فمن خلال هذا الجزء المقدم، الخاص بالمناسبة ودورها في تحقيق الترابط الدلالي على مستوى سورة الكهف، وعلى الرغم من أن كل قصة في هذه السورة لم تستغرق السورة بأكملها، بل في جزء منها فقط إلا أنه قد تحقق الإنسجام بين هذه القصص إما تنادي بقيم فاضلة باقية أو تحارب قيم باطلة زائفة، وهذا ما تبين لنا من خلال دراسة المناسبة بين مقاطع هذه السورة.

وبذلك يتأكد إضافة عنصر المناسبة إلى الأنماط الأخرى والآليات التي يتم الكشف عن تماسك النصوص، حيث أنلها الأهمية الكبرى في تحقيق التعالق والتلاحم بين أجزاء السورة الواحدة.

الخـــاتـمـــة

وبعد، فلكّل بداية نهاية ولكّل حديث خلاصة وغاية، ولابُدّ لنا من وقفة تأمّل واستذكار لما حققّه البحث من مقاصد وما توّصل إليه من نتائج في جانبيه النظري والتطبيقي.

-أن فكرة التناسب القرآني قديمة قدم القرآن نفسه، ولطالما لفت النبي ﷺ المسلمين إلى التعامل مع القرآن الكريم باعتباره وحدة واحدة.

-أهمية التناسب في فهم وتدبر كتاب الله عز وجل.

-التناسب علما قائما بذاته له أصوله وقواعد وشرفه وأهميته

-أنّ التناسب نوع من أنواع الإعجاز القرآني فهو معجز في نظمه، وأسلوبه، وجزالته

-فوظيفة التناسب هي الكشف في وجه ورود انتظام المعاني و ارتصافه في هذا المكان دون غيره وبيان اللحمّة والائتلاف والترابط بين عناصر السياق الواحد فعلم المناسبات يحدد ويوضح وحدة النص في القرآن الكريم.

-إنّ التناسب يبحث عن علاقة آيات القرآن بأخرى متقدمة، ويشرع المفسرين في البحث عن المناسبة حين تنقطع الصلة بين آية وآية أخرى أو آيات سابقة.

-فالتناسب هدفه الربط الدلالي بين الآيات المتجاورات أو حتى المتباعدات ،فهي بحق الآيات التي يبحث بهما تماسك النصوص وتلاحمها، و ارتباط بعضها بأعناق بعض لتكون بذلك الوحدة المنشودة من دراسة النصوص.

-التناسب إذن يعمل على ربط الكلام بعضه ببعض من جهة الألفاظ و المعاني أومن جهتهما بحيث لا نستطيع أن نستبدل أجزاء أخرى من الكلام بأجزائه الموجودة فيه أو تغير وضعه الذي جاء عليه.

-التناسب يجعل أجزاء الكلام بعضها يأخذ بأعناق بعض فيقوي بذلك الارتباط ويصير التأليف حاله من حالة البناء المحكم المتلائم الأجزاء.

-للتناسب قدرة على إدراك اتساق المعاني والإعجاز القرآني و إحكام بيانية و انتظام كلامه وروعة أسلوبه فيساعد على معرفة الأحكام وتيسير فهم كلام الله تعالى في نسق موزون منضبط متكامل يخدم بعضه بعض.

-عزّز البحث حقيقة الوحدة الموضوعية في سورة الكهف، من خلال تناسب خاتمتها مع بدايتها، واسمها مع محورها والتناسب في قصصها.

-أبرزت سورة الكهف علاقات دلالية كانت عن طريق آليات منها:

*السياق النوعي للسورة وللآية و للمقطع وكل هذا أبرز لنا جزءا من التماسك الدلالي لسورة الكهف.

*أيضا التغريض، والذي يبين لنا العلاقة بين العنوان ومحتوى هذه السورة بموضوعاتها المختلفة فوجدنا أن هناك نوعا من العلاقة الخفية بينهما.

-تميزت سورة الكهف بطابع قصصي خاص، هذه الخصوصية ساهمت في اتساق العبارات والآيات ووحدات السورة ومن هذه القصص: قصة أصحاب الكهف. وما بعدها قصة صاحب الجنتين. ثم قصة آدم مع إبليس. وموسى مع العبد الصالح . ذي القرنين. وقد تناسبت مع بعضها البعض من حيث الترتيب البدايات و النهايات.

-وعليه فالتناسب يحقق التماسك بين الآية وما تسبقها من آيات أخرى وهذا لإرتباط هذه الآية بعضها ببعض ومدى مناسبة أول السورة بآخرها، وكذا مناسبة مواضيع السورة بعضها مع بعض...

-سورة الكهف كانت وسيلة على سبيل النظر إلى البيان في التناسب بين الآيات والسور، ومهمة هذه الوسيلة(التناسب) في تحقيق التماسك الدلالي النصي، بكشف العلاقات الخفية الرابطة بين الأجزاء والوحدات المختلفة للسورة.

-ومن خلال كل هذا يتبين لنا الكيفية العجيبة التي ترابطت من خلالها سورة الكهف شكلياً ودلاليًا، فهي تزخر بالعديد من أدوات الاتساق التي ساهمت في ترابطها، ومن خلال العديد من آليات الإنسجام تم الكشف عن ذلك التلاحم الخفي بين دلالتها، على الرغم من أن الناظر إلى هذه السورة يجدها تحتوي في ظاهرها عدة قصص تبدو للوهلة الأولى أنها لا ترتبط ببعضها ببعض .

-و في الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا في تقريب طرحنا والله وراء القصد فهو مولانا ونعم النصير وصلى الله وسلم على سيدنا محمد و اله وصحبه أجمعين.

قائـمة المصـادر والمـراجع

1. القرآن الكريم برواية حفص.

2. إبراهيم بم موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، الموافقات،الجزء3، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة ، بيروت، د ت.

3. أحمد عبد الله البيلي البدوي، من بلاغة القرآن، نهضة مصر- القاهرة، 2005م.

4.الألوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني، في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، د ط، 1414هـ - 1994م.

5. البقاعي ،برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ،ج1،د ت.

6.ابن تيمية، تقي الدين أحمد، مجموعة الفتاوى، دار الوفاء بالمنصورة، ومكتبة العبيكان بالرياض،ط1، 1417هـ-1996م.

7.جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، علق عليه مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة،ط1،ت ط ، 1429هـ- 2008م.

8.حسن، سامي عطا، المناسبات بين الآيات و السور، www.saaid.net ، نقله عن: رضوان، د. بسيوني عرفة، الفصل والوصل، مكتبة الرسالة، القاهرة.

9.حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام ، مصر ط2، 1409هـ-1989م.

10. الرازي، الفخر محمد بن عمر بن الحسين، الشافعي، التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط2، 1417هـ-1997م .

11. رشيق القيرواني، العمدة، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط5، ج1، 1981م.

12. الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت، د. ط، ج2، 1414هـ - 1994م.

13. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار الإحياء للكتب العربية،دط، 1998م.

14. سبحاني، محمد عناية الله أسد، إمعان النظر في نظام الآي والسور، دار عمار، عمان، ط1، 1424هـ- 2003م.

15. سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة، ط15،ج5، 1408هـ- 1988م.

16. السيوطي ، الحافظ جلال الدين، مراصد مطالع في تناسب المقاطع والمطالع، مكتبة المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض،ج1، 1462هـ.

17. السيوطي، الحافظ جلال الدين،معترك الأقران في إعجاز القرآن،ضبطه وصححه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت،ط1، 1408هـ،1988م.

18. الشوكاني، محمد بن على ، فتح القدير، الجزء1، دار ابن كثير، دمشق،ط1، 1414هـ.

19. صبحي إبراهيم الفقي ، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ج2، ط1، 1321هـ، 2000م.

20. صبحي صالح، مباحث في علوم القرآن للشيخ صبحي الصالح، دار العلم للملايين، ط24،كانون الثاني-يناير2000م.

21. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل، معجم مفردات ألفاظ القرآن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ - 1997م.

22.الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984م، ج13.

23. عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ط3، 1387هـ- 1967م،مج5، ج9،دت.

24. عجيبة الأندلسي، أحمد بن محمد بن المهدي، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، تحقيق عمر أحمد الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1423هـ - 2002م.

25.عبد الرحمان الثعالبي، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ت: عمار الطالبي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،دط، ج2، 1985م.

26.عبد الله بن يوسف الجديع، المقدمات الأساسية في علوم القرآن، مركز البحوث الإسلامية ليدز-بريطانيا،ط1، 1422هـ-2001م.

27.عكاوي إنعام، المعجم المفصل في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، ط1،ج6، 1992م.

28.الفراهي، عبد الحميد، دلائل النظام، الدائرة الحميدية ومكتبتها، الهند، 1388هـ.

29.ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق شهاب الدين أبو عمرو، ط1، دار الفكر، بيروت، 1415هـ - 1994م.

30.فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب،ط1، دار الفكر،ج21، 1401هـ-1981م .

31.فضل حسن عباس، القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته شركة الشهاب للنشر والتوزيع، الجزائر،د ط، د ت.

32.الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري،مجمع الأمثال، (رقم 4019) ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، ج2، 1408هـ - 1988م.

33.محمد ، يسري السيد، بدائع التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن قيم الجوزية، دار ابن لجوزي، الدمام، ط3، 1414هـ – 1993م.

34.محمد إسماعيل لبخاري، صحيح البخاري، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة،ط1، ج6،1422هـ.

35.محمد حسين سلامة، الإعجاز العلمي البلاغي في القرآن الكريم، دار الأفاق العربية القاهرة،ط1، 1423هـ- 2002م.

36.محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، دار القرآن، بيروت،ط4،مج2، 1402هـ، 1981م.

37.محمد متولي الشعراوي، سورة الكهف،دط، دار أخبار اليوم دار الثقافة جمهورية مصر العربية،دت.

38.مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، دار القلم، دمشق،ط4، 1426 هـ ، 2005م.

39.ابن منظور:أبو الفضل جمال الدين بن محمد، لسان العرب مادة (ن س ب)،جزء01،بيروت،ط3، 1986م.

-مواقع إلكترونية:

40- موقع إلكتروني، شبكة الحسناوي، البنية في سورة الكهف، محمد الحسناوي.

41- WWW.quram- -radio-com tafseer94.h t m.-

فهرس الموضوعات

العنـوان	الصفحة
الإهداء	
كلمة شكر	
مقدمة	أ
الفصل الأول: لمحة عامة عن التناسب في القرآن الكريم	
تمهيد	08
أولا: تعريف التناسب	11
- لغة	11
- اصطلاحا	12
ثانيا: نشأته	14
ثالثا: موقف العلماء من التناسب	17
رابعا: أهمية التناسب	21
خامسا: أنواع التناسب	25
الفصل الثاني: التناسب في سور الكهف	
أولا/ لمحة عامة عن سورة الكهف	
تمهيد	32
1- التعريف بالسورة	33
2-سبب نزولها	35
3- سبب التسمية	36
4- موضوعاتها وأغراضها	37
5- فضل السورة	40
ثانيا/ التناسب في سورة الكهف	
تمهيد	43
1-التناسب بين اسم السورة-الكهف-ومحتواها	44
2- التناسب بين اسم السورة والحدث مذكورة فيها	46

3- التناسب بين فاتحة السورة وموضوعاتها 48
4- التناسب بين فاتحة السورة وخاتمتها 50
5- التناسب بين قصص السورة 53
أ- التناسب بين افتتاحية السورة وقصة أصحاب الكهف 55
ب- التناسب بين القصة الأولى(أصحاب الكهف)وقصة الثانية(صاحب الجنتين) 56
ج- التناسب بين قصة صاحب الجنتين وقصة آدم وإبليس 57
د- التناسب بين قصة موسى مع العبد الصالح وما قبلها 58
هـ- التناسب بين قصة ذي القرنين مع القصص السابقة 59
خاتمة 63
قائمة المصادر والمراجع 67
فهرس الموضوعات 72

تم بحمد الله